

سيدنا أبو علي الحسن الكاتب المصري رضي الله عنه

إمامٌ قدره عليّ وبرهاتٍ منهاجه حسناً واضحاً جليّاً ، كان من كبار مشايخ مصر والشام ومن أعظم أهل الحقائق الأعالم وافر العرفان مثمر الأفنان ، أخذ عن أبي علي الرودياري وأبي بكر المصري وغيرهما .
(ومن كلامه) إذا انقطع العبد إلى الله بكلّيته فأول ما يفيدّه الإستغناء به عن الناس . (وقال) روائع المحبة تفوح من المحبين وإن كتموها وتظهر عليهم وإن أخفوها وتدكّ عليهم وإن ستروها . (وقال) المعتزلة نزهوا من الله من حيث العقل فأخطأوا والصوفية نزهوه من حيث العلم فأصابوا . (وقال) من سمع الحكمة ولم يعمل بها فهو منافق . (وقال) صحبةُ الفسّاق داءٌ ودواؤها مفارقتهم . (وقال) يقول الله عزّ وجلّ من صبر علينا وصلنا . (وقال) إن الله يرزق العبد خلاوة ذكره فإن فرح به وشكر أنسه بقربيم وإن لم يشكره أجرى الذكر على لسانه وسلبه حلاوته . (وقال) إذا سكّن الخوفُ القلب لم ينطق اللسان إلا بما يعنيه . (وقال) همّة مقدّمة الأشياء فمن صحّ همته أتت عليه توابعه على الصدق والصحة فإن الفروع تتبع الأحوال ومن همّ همته أتت عليه توابعه مهملة ، والمهمّ من الأحوال والأفعال لا يصلح لبساط الحق تعالى .
(توفي) سنة نيف وأربعين وثلاثمائة ولم أر من ذكر ولادته رضي الله عنه . ثم تلقى سرّ هذه النسبة الشريفة عنه شيخ هذه السلسلة المجلدة سيدنا أبو عثمان المغربي رضي الله عنه .

سيدنا أبو عثمان سعيد بن سلام المغربي الزجاجي الصوري القيرواني رضي الله عنه

صوفي جليل كبير عارف عرف صيته أليوب من العبير له الأحوال الماثورة والكرامات المذكورة والورع الوثيق والقلب الرقيق والصفاء التام عن الكدورات والأوهام . (وقد قيل) التصوّف صفاء لا وصف له وعلامة لا نهاية لها . صحب الزجاجي والنهرجوري والدينوري وغيرهم ولم ير مثله في علو الحال وصون الوقت وصحة الحكم بالفراسة وعظم الميبة وجموم الأسرار وطرح الإختيار .
(وقد قيل) التصوّف سير السرّ مع الله تعالى ، كيف وهو الإمام الذي شهدته بخوارقه أرباب العلم والأعلام ، والصوفي الذي لم تشاهد العيون مثله في اليقظة والأحلام .
ومن كلامه :

(قال) الإعتكاف حفظ الجوارح تحت الأوامر . (وقال) أبى الملك الجبار إلا أن يختبر أوليائه بتسليط عدوّهم عليهم . (وقال) من أثر صحبة الأغنياء على الفقراء ابتلاه الله بموت القلب . (وقال) من اشتغل بأحوال الناس ضيم حاله ومن مدّ يده الى طعام غني بشهوة لايفلم أبداً . (وقال) عاص نادم خير من طائم مدّم ، لأن العاصي يطلب طريق توبته ويعترف بنقصه والمدّعي يتخبط في خيال دعواه . (وقال) أفواه العارفين لم تزل فاغرة لمناجاة القدرة . (وقال) من لم يسمع من نهيق الحمار مايسمع من صوت العود ودواخل المغنين فسماعه معلول . (وقال) لا يصلح لمخلص معرفة إخلاصه إلا بعد معرفته الرياء ومفارقتها ، إذ لا يعرف الشيء من لا يعرف ضده . (وقال) التقوى الوقوف مع الحدود . (وقال) الصوفي من لا يملك الأشياء إختياراً ولا يملكه شيء إقتهاراً . (وقال) لاتصحب إلا أميناً أو معيناً ، فإن الأمين يحملك على الصدق ، والمعين يعينك على الطاعة . (وقال) للعارف وقت تضيء له أنوار العلم فتبصره عجائب الغيب . (وقال) إذا صحت المحبة تأكد على المحب ملازمة الأدب . (وقال) من لم يدق وحشة الغفلة لم يجد أنس الذكر . (وقال) شكر العامة على المطعم والملبس وشكر الخواص على مايرد على قلوبهم من المعاني . (وقال) من ادعى السمام ولم يستمع من صوت الطيور وصرير الباب وتصفيق الرياح فهو مفتر مدّم . (وقال) قلوب أهل الحق قلوب حاضرة وأسماعهم أسماع مفتوحة .

(وسئل) عن الخلق فقال قوالب وأشباب تجري عليهم أحكام القدرة .

(ودخل) عليه بعض صحبه قرب إحتضاره فقال له : كيف تجدك ؟ قال : أجد مولى كريماً رحيماً إلا أن القدوم عليه شديد .

(وقال) إن الله جعل أنس عباده في رؤية أوليائه . (وقال) في معنى حديث "أكثر أهل الجنة البله" الأبله في دنياه الفقيه في دينه .

وكان أولاً مقيماً بمكة فسعى به الى العلوية فأخرجوه فعاد الى بغداد ثم نيسابور ، فمات بها سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة . ودخل رجل على الخطابي فأخبره بموت المغربي ، فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "كان في الأمم ناسٌ محدثون فإن يكن في أمتي فعمرؤ" وأنا أقول فإن كان في هذا العصر أحدٌ

فأبو عثمان المغربي ، رواه الخطيب البغدادي . وأوصى بأن يصلي عليه الإمام أبو بكر بن فورك رضي الله عنه .

(وقال) الإمام القشيري سمعتُ الأستاذ الإمام أبا بكر بن فورك يقول : "كنت عند أبي عثمان المغربي حين قَرِبَ أجله وعليّ القَوَالُ يقول شيئاً فلما تغير عليه الحال أشرنا على عليّ بالسكوت ، ففتح الشيخ أبو عثمان عينه وقال : "لم لاتقول عليّ شيئاً" فقلتُ لبعض الحاضرين سلوه وقولوا على ما يسمع المستمع فإني أحتشمه في تلك الحالة . فسألوه فقال : "إنما يسمع من حيث يستمع" ثم توفي رضي الله عنه . ثم تلقى سر هذه النسبة الشريفة عنه شيخ هذه السلسلة المجلدة علي بن عبدالواحد الكركاني رضي الله عنه .

سيدنا أبو القاسم علي الكركاني رضي الله عنه

صاحب الصفات الكاملة والنفس العالمة الكاملة والمهم الجليلة والمعارف الجزيلة والطريقة المرضية المتبعة والأقوال والأفعال التي لا يخشى منها تبعة . زَهَتْ به الدنيا براريها وبحارها وأشرف منه ليلها ونهارها وتوجّه الناس لمتبته الطاهرة لتحصيل سعادة الدنيا والآخرة . عَطَرَ سيدنا الجامي قدّس سره السامي باسمه الشريف روضة نفحاته ونضر وجه جمالها بذكر كراماته وبالغ الثناء عليه آية جليلة في معرفة أسرار التربية للمريدين والإطلاع على خواطرمهم ، وله في ذلك وقائم كثيرة منها ما ذكره صاحب كتاب "كشف المحجوب" ، قال :

"حدثت لي يوماً حادثة أشكل عليّ حلّها فقصدت زيارة الشيخ أبي القاسم قدّس الله سرّه فوجدته في مسجد أمام داره وحده ، فلما دنوت منه سمعته يخاطب إسطوانة في المسجد بكلام يحلُّ إشكالي فاستفدتُ منه الجواب قبل أن أسأله . ثم لما جلست بين يديه قلت له : ياسيدي هذا الذي تتكلم به مع الإسطوانة جواب واقعتي التي جنّت أسألك عنها فكيف ذلك ؟ فقال : يا ولدي إن الله أنطق هذه الإسطوانة بالسؤال عن هذه الحادثة مني فأجبتها بما سمعت .

(واجتمع) الشيخ أبو القاسم والشيخ أبو سعيد فضل الله بن أبي الخير في محلّ ببلدة طوس وجلسا على تخت واحد وجماعة من المريدين وقوف بين أيديهما ، فوقف في سرّ أحد المريدين أنه "ليت شعري مامنلة هذين السيدين" . فالتفت إليه أبو سعيد وقال له : "من شاء أن ينظر الى ملكين جالسين على تخت واحد في وقت واحد فليُنظر اليّنا" . فلما سمع المريد هذا الكلام رُغم الله عنه حجابهم وأطلعهم على صدق كلام الشيخ وشاهد علو منزلتهما عنده تعالى . وقال هذا المريد في نفسه أيضاً "ليت شعري هل يوجد اليوم على وجه الأرض أعظم من هذين الشيخين؟" . فتوجّه إليه أبو سعيد وقال له : "لوم يجيء كل يوم ويذهب سبعون ألفاً مثل أبي سعيد وأبي القاسم لما كان هذا الملك كاملاً" رضي الله عنهما . ثم تلقى سر هذه النسبة الشريفة عنه شيخ هذه السلسلة المجلبة سيدنا أبو علي الفارمدي رضي الله عنه .

رفعت مرّة القلم من الدواة فخرج أبيض فقمتم حتى وقفت أمام الإمام القشيري وذكرت له ذلك الأمر ، فقال قدّس الله سرّه : نزع العلم منك فإنزع يدك منه والتفت للحال الذي أنت فيه وأسلك طريق القوم . فنقلت أمتعتي من المدرسة الى الخانقاه واشتغلت بخدمة هذا الأستاذ الإمام قدّس الله سرّه .

(وقال) ودخل الأستاذ يوماً الى الحمام فذهبت وحدي الى الحمام وأخرجت عدة دلاء من ماء البئر وملأته ، فلما خرج الأستاذ القشيري منه قال : من الذي ملأ الحمام ماءً ؟ فسكتُ وقلتُ في نفسي اني فعلت قلةً أدب . فسأل مرةً ثانية فما أجبتهُ أيضاً ، فلما سال الثالثة قلت له : أنا ملأتهُ . فقال : يا أبا عليّ أبشرك بأن ما حصلته أنا في مدة سبعين سنة فقد حصلته أنت بدلوٍ واحد .

(وقال) استولى عليّ مدة المجاهدة عند الأستاذ القشيري يوماً حالاً لم أكن معها شيئاً مذكوراً فذكرت له ذلك ، فقال : يا أبا عليّ ذوقتي ماهو أعلى من هذا يمكن أن يكون ذلك المقام أرفع من مقامي وأنا لأدري طريقه . فلم أزل متشوقاً الى شيخ يوصلني الى أعلى من هذا مدّةً مديدةً وذلك الحال يزيد وقد كنت سمعت بالشيخ أبي القاسم الكركاني ، فتوجهت الى طوس ولم أكن أعرف محلّه . فلما وصلت الى البلدة سألت عنه فوجدته جالساً في المسجد مع جماعة من مريديه فصلّيت تحية المسجد وجلست امامه وكان مطرقاً رأسه وقال : تعال أبا عليّ . فقمتم وسلّمت عليه ثم تعدت فذكرت له أحوالي . فقال : نعم بارك الله لك في بدايتك فانت الآن واصل الى أول درجة من السلوك أما إذا حصل لك تربية فإنك تصل الى درجة عالية . فقلت في نفسي هذا أستاذي ثم أقمت عنده . فبعدهما أمرني بأنواع الرياضات والمجاهدات مدة مديدة عقد لي على ابنته وأذن لي بالكلام على الناس .

(وقال) قدّس الله سرّه كان قد حضر الشيخ أبو سعيد بن أبي الخير من (ميهمه) الى طوس قبل أن يأذن لي الشيخ أبو القاسم بالكلام فذهبت الى زيارته ، فقال لي : يا أبا عليّ استعدّ فإنه سيفتحم عليك فتتكلّم بلسانهم كثيراً كالبلبل . فما مرّ على هذه البشارة زمان حتى أمرني الشيخ بعقد المجلس وفتح لي باب الكلام .

(وقال) حجة الإسلام أبو حامد الغزالي قدّس الله سرّه لقد سمعت الشيخ أبي علي الفارمدي يحدث عن شيخه أبي القاسم الكركاني أنه قال التسعة والتسعون إسماً تصير أوصافاً للسالك وهو بعد لم يصل . (توفي) قدّس الله سرّه سنة سبع وأربعين وأربعمائة . والفارمدي (بسكون الراء المهملة وفتح الميم ودال مهملة) نسبة الى (فارمد) قرية من قرى طوس ، وبواسطة هذا السيد الجليل تتصل كما قدمناه هذه السلسلة العلوية الأولى المعروفة بسلسلة الذهب بالسلسلة الثالثة الصديقية المشهورة الآتية . وقد أن الأوان أن نلوي عنان جواد القلم الى ترجمة أحوال رجال السلسلة العلوية الثانية مستمدين من روحانيتهم المباركة العناية الكافية .

السلسلة الثانية العلوية للطريقة النقشبندية قدّس الله سرّ ساداتها الزكيّة

تقدّم أن تقديم هذه السلسلة الثانية العلوية كأولى على السلسلة الثالثة الصديقية العلية إنما هو لقرب إتصالها بها وقلّة رجالها وتفرّغاً للكلام على رجال الثالثة لإمتدادهم الى زماننا هذا فيكون الختم بها أليق . وإذ كان كلّ خير منهم فخير الكلّ له منهم وجب ترصيم الكلام بإسمه الأعلى وإن سبقت تكليـك السلسلة الأولى به وهو الأولى .

المبدأ الفياض الأعظم صلى الله تعالى عليه وسلم

قد سلف تشریف السلسلة الأولى العلوية بذكر نبذة من أحواله وأقواله المقدسة المصطفوية ، ولكن تتميماً لنظام هذا السلسلة المجلدة وتعميماً للبركة بإعادة بعض أوصافه مجملة كما مرت مفصلة زينت هذه الأسفار بإسفار أنوار شمس اسمه الكريم توسلاً لخدمته وتوصلاً لمدحته بهذا التنظيم مؤنساً أرباب الألباب بأنس جام إنسجام ثنائى العظيم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، فقلت :

فيم مكاناً في الجلال مكيئاً
فيه النبى المصطفى الهادي الذي
فيه الرسول أبو البتول وعز من
فيه شفييم الخلق من بظهوره
فأنظر له وانثر على أعتابه
واخض جنام الذل واخضم هيبة
وأطبل وقوفك في رحاب جنابه
إن عم غم ليس غير قبابه
فاذا التجأت لبابه تلقى عفوراً
تلقى المراحم والمكارم والمهدى
لو تطلب الدنيا وما فيها لما
فاقبض يديك على عوطف يمنه
واعرض على أعتابه ماتشتكي
واذكر له قلباً تقلب في العنا
فهو الرؤوف بنا الرحيم لنا تعالى
وهو المحيط بكل شىء رحمة
يامن تشرقت السموات العلا
بك ساد كل الأنبياء بالإرتقاء
ارحم بربك ذلتى من زلتى
واعذ برأفتك المحيطة بالورى
واغثه ياغوث الصريم فطالما
هذا مقام العائد الراجى وقد
نفسى الفداء لمن بخدمه بابيه
أعظم به من مرسله أضحى على
وغدا نبياً للأنعام وأدم
وبه الوجوش تباشرت لما غدا
والضب سلم والبعير شكاً له

وأفاض من بين الأصابع ماءً
واختار رب الناس في الدنيا له
فضلام الشـرك زالك بنوره
لو لم يكن من معجزات نبينا
قد جاد قراناً عظيماً لم نجد
لايعرب الإيجاز عن إعجازه
لافخر الأ والنبي محمد
هو سيد الأكوان سرّ ظهورها
وأعمهم فضلاً وأطهرهم بصون
ساري الوجود لكل موجود إمام
لم تقدر البلغاء قدر مقامه
حل المدينة فاغتذت لجنايه
من سام سامي بره بثنايه
بشرى لكل العالمين بأحمد
فاذا توسلت الأنعام بجاهه
هو غوث كل العالمين وفضله
ولأجله المولى لقد رفع العذاب
فاذا الشدائد أقصدتك سهامها
والجأ له متذلاً وبجاهه
وانظم وقلبك واثق بقبوله
فتعود من إحسانه الضافي على
تؤلف الألف مدحاً فييه لا
صلى وسلم ذو الجلال عليه ما
والأل والأصحاب أقممار الهداية

أروت من القوم الظماء منينا
من خير أديان البرية دينا
والدين بالتوحيد صار متينا
إلا الكتاب كفي به تبيننا
له في كلام العالمين قرينا
إذ فاق كل بلاغة تحسينا
قد زاد فوق سنّامه تمكينا
من كنزها خير الورى تكويننا
الله أباء لله وبيننا
الوجود أول قـبابك تعييننا
بك كان أقصى علمهم تخميننا
حرمماً وللدن القويم عريننا
حاشا علاه أن يعود غبيننا
الصاحب الجاه العظيم نبينا
قالت ملائكة السما أمينا
قد فننت الأوه تفنينا
فلا يعذبهم وأحمد فينا
فاقصد لها كهف الورى ياسينا
متوسلاً وعلى حماه رهينا
عقداً من المديم البديم حسينا
حسانه طلق اللسان قطينا
خمسيت أو ستين أو سبعينا
أفنى وأحيا أشهراً وسنينا
كلما حيينت تعقب حيننا

ثم سرى سرّ هذه النسبة العلية من فخر العالم عليه أفضل الصلاة وأتمّ التحية الى سيدنا الإمام عليّ بن
أبي طالب رضي الله عنه .

كنز المواهب والمطالب أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه وأمدنا بنوره من كل وجهه

هو لهذه السلسلة المُمدُّ الأعظم وواسطة عقد جواهرها الأنظم . وقد تشرف هذا السفر في أوائله بذكر نبذة من فضائله وشمائله . وقد تلقى هذه النسبة عنه عالم كثير من كبار التابعين وأعظم من سرى إليهم سرها شيخ هذه السلسلة السنية سيدنا الحسن البصري رضوان الله عليهم أجمعين .

سيدنا الحسن البصري رضي الله عنه

سيد التابعين الكبار وإمام العباد والأخيار ، أتقن كل فن من علم وعبادة وبلغ أعلى مبلغ في الورع والزهادة ، فصلّى الغداة بوضوء العشاء أربعين سنة وكان أكثر مشيماً حافياً ومع ذلك له هيبه عظيمة . وكان أشبه الناس سريرة بعلانية قولاً وفعلًا ، إن أمر بأمر كان أول عامل به أو نهى عن شيء كان أترك الناس له . وكان كثير البكاء والحزن ماراه أحد إلا ظن أنه حديث عمد بمصيبة . (قال حجة الإسلام الإمام أبو حامد الغزالي رضي الله عنه) كان أشبه الناس كلاماً بكلام الأنبياء وأقربهم هدياً من الصحابة إتفت العلماء في حقّه على ذلك . وقال الجاحظ يستثنى من كل غاية فيقال فلان أزهد الناس إلا الحسن وأفصحهم إلا الحسن . (ونظر إليه راهبان) فقال أحدهما لصاحبه : ملأ الى هذا الذي سمته كسمت المسيح . فعدلا اليه فالفياه مفترشاً لذقنه ظاهر كفه وهو يقول "ياعجباً لقوم أمروا بالزاد وأذنوا بالرحيل ما الذي ينتظرون" . (وقال) يحق لمن علم أن الموت مورده والساعة موعده والقيامة مشهده أن يطول حزنه . (وقال) لا يؤمن أحد بهذا القرآن إلا حزن وذبل . (وقال) أدركت سبعين بدياً لباسهم الصوف لو رأيتهم قلتهم مجانين ولو رأوا أخياركم قالوا ما لهؤلاء من خلاق ولو رأوا أشراركم قالوا ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب . (وقال) التفكير يدعو الى الخير والعمل به ، والندم على الشر يدعو الى تركه وليس ما يغني وإن كثر يعدل ما يبقى فاحذر هذه الدار الصارعة الخادعة التي قد تزينت بخدعها وغرت بغيرورها . (وقال) عقوبة العلماء موت القلوب وموتها طلب الدنيا بعمل الآخرة . (وقال) هجران الأحمت قربة الى الله تعالى . (وقال) ابن آدم نفسك نفسك إنما هي نفس واحدة إن نجت نجت وإن هلكت هلكت لن ينفعك من نجا ، كل نعيم دون الجنة حقير وكل بلاء دون النار يسير . (وقال) إذا أراد الله بعبد سوء ختم الله بأسوأ عمله ثم توفاه عليه . (وقال) جربنا وجرب المجريون فلم نر شيئاً أنعم وجداناً ولا أضر فقداً من الصبر يداوي الأمور ولا يداوي هو بغيره . (وسئل) أينام إبليس ، فتبسّم وقال : "لو نام لوجدنا راحة" . (وقال) الدنيا دار عمل من صحبتها بالبفض لها والزهد فيها سعد بها ونفعت صحبتها ، ومن صحبتها برغبة ومحبة شقي بها وسلمته الى ما لا صبر له عليه . (وقال) غداً كل إمري بما يهمله ومن هم بشيء أكثر من ذكره ومن أثر دنياه على آخرته فلا دنيا له ولا آخرة . (وقال) لو كنت ممن رضي بقتل الحسين وعرضت علي الجنة ما قبلتها حياءً من المصطفى صلى الله عليه وسلم . (وقال) عجباً أمروا بالزاد ونودي فيهم بالرحيل وحبس أولاهم على أخراهم وهم يعود يلعبون ، ابن آدم السكين تحد والتنور يسجر والكبش يعلف ، كفى بالتجارب وبتقلب الأيام عظة وبذكر الموت زاجراً عن المعصية ، ذهب الأيام وبقيت الأثام قلاند في الأعناق . (وقال) ما أعطي رجل شيئاً من الدنيا إلا قيل له خذ ومثله من الحرص . (وقال) أشد الناس صراحاً يوم القيامة رجل سنّ ضلالة فاتبع عليها . ورجل يسيء الملكة . ورجل فارغ استعان بنعم الله على معاصيه . (وقال) المؤمن كالعنيزة يكفيه كف من حشف وقبضة من سويق وجرعة من ماء والمنافق كالسبعم الضاري بلعاً وشرطاً ليطوي بطنه لجاره ولا يؤثر أخاه بفضل ، وجهاً هذه الفضول

أمامكم . (وقال) بذل المجهود في بذل الموجود منتهى الوجود . (وقال) خفت النعال حول الرجال قلماً
يثبت له قلوب الحمقى . (وقال) عجباً لإبن آدم يغسل الخرا بيده مرة أو مرتين ثم يتكبر ويعارض
جبار السماء وقد قال (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) . (وقال) لا يغرّنك قول من يقول المرء مع من
أحب فإنك لن تلحق الأبرار إلا بأعمالهم فإن اليهود والنصارى يحبون أنبياءهم وليسوا معهم . وقال
الغزالي قدس الله سره هذه إشارة الى أن ذلك من غير موافقة في بعض الأعمال أو كلها لا ينفع .
(ورأى) ناساً يوم عيد يضحكون ويلعبون فقال : إن الله جعل الصوم مضمار العبادة ليسبقوا الى
طاعته ولو كشف الغطا لشغل المحسن باحسانه والمسيء باساءته عن تجديد ثوب أو ترجيح شعر .
(وقال) مارأيت يقيناً لاشك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت . (وقال) وقد عوتب على
تخويفه الناس بموعظته إن من خوفك حتى تلقى الأمن خير ممن أمنك حتى تلحق الخوف . (وقال له
رجل) : بنيت داراً أحب أن تدخلها وتدعو . فدخل فنظرها ثم قال : " خربت دارك وعمرت دار غيرك
غرك من في الأرض ومقتك من في السماء " . (ومرّ) بدار المهالبة فقال " رُم الطيب ووضعت الدين " .
(وقال) أدركت قوماً مايطوى لأحدهم في بيته ثوب قط ولا أمر في أهله بصنعة طعام قط وماجعل
بينه وبين الأرض شيئاً قط . (وقال) ما الدنيا كلها من أولها الى آخرها إلا كرجل نام نومة فرأى في
نومه مايحب ثم انتبه . (وقال رجل) الفقهاء يقولون كذا . فقال : هل رأيت فقيهاً ، إنما الفقيه الزاهد
في الدنيا البصير بدينه المداوم على عبادة ربه . (وقال) بلغنا ان الله يقول ياابن آدم خلقتك وتهد
غيري وأذكرك وتنساني إن هذا لأظلم ظلم في الأرض . (وقال) إنما أنت أيام كلما ذهب يوم ذهب
بعضك . (وقال) فضح الموت الدنيا فلم يترك فيها لذي لب فرحاً . (وقال) والله ماأعز أحد الدرهم إلا
أذله الله . (وقال له رجل) :

- أريد سفراً فأوصني . فقال : حيثما كنت اعز أمر الله يعزك .

(وقال) ضحك المؤمن من غفلة قلبه . (وقال) الإسلام أن يسلم قلبك لله ويسلم منك كل مسلم وكل
ذي عهد . (وقال) إياكم وما شغل من الدنيا فإنها كثيرة الأشطان لايفتح الرجل على نفسه باب شغل
إلا يوشك ذلك الباب أن يفتح عليه عشراً . (وقال) رحم الله رجلاً لا يغيره مايرى من كثرة مخالفات
الناس ، ابن آدم تموت وحدك وتبعث وحدك وتحاسب وحدك وأنت المعني وإياك يراد . (وقال)
بنسب الرفيقتان الدنيا والدرهم لاينفعانك حتى يفارقانك . (وقال) ابن آدم طأ الأرض بقدمك فإنها
عن قلبك تبرك إنك لم تزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك . (وقال) لاتخالفوا الله عن
أمره فإن خلافك عنه عمارة دار قضى الله عليها بالخراب . (وقال) هانوا على الله فعصوه ولو عزوا
عليه لعصمهم . (وسئل) عن حديث الإيمان الصبر والسماحة ، فقال : الصبر عن معصية الله
والسماحة بأداء فرائضه . (وقال) فضل الفعال على المقال مكرمة وفضل المقال على الفعال
منقصة . (وقال) لو نادى مناد بالمسجد ليخرج أفسق الناس وأقلهم حياءً من الله ماسبقني للخروج
أحد . (وقال) يستعان على دفع وسوسة إبليس بالذكر والقراءة والنفس بالصوم والصلاة والمجاهدة
والرياضة . (وقال) إذا أذنب عبد ثم تاب لم يزد من الله إلا قرباً ، وهكذا كلما أذنب لأنه دائم السير
بذنوب وبغيره حتى يصل للأخرة . (وشكا) له رجل قسوة قلبه فقال عليك بمجالس الذكر والإحسان
لليتميم . (وقال) أدركت قوماً كانوا فيما أحل الله لهم أزهذ منكم فيما حرم . (وقال) طمع العالم في

الدنيا يشينه ويذهب بحرمة من القلوب . (وقال) ذم الرجل لنفسه مدح لها . (وقال) ليس بأخيك من تحتاج الى مداراته . (وكان) إذا تعد بين الناس يقعد ذليلاً وإذا تكلم تكلم رجل أمر به الى النار كأنها لم تُخلق إلا له . (وقال) عبد بنو إسرائيل الأوثان بعد عبادة الرحمن بحبهم الدنيا . (وقال) أرى رجالاً ولا أرى عقولاً وأسمع أصواتاً ولا أرى أنساً . (وقال) خصلتان إذا صلحتا صلح ما سواهما وإذا فسدتا فسد ، الركون الى الظلمة والطغيان في النعمة . (وقال) جمع الله الخير والشر كله في آية واحدة (إن الله يأمر بالعدل والإحسان... الآية) . (وقال) لو يعلم العابدون أنهم لا يرون ربهم يوم القيامة لماتوا . (وكان يقول) لا توبة لقاتل المؤمن عمداً . فسد اليه عمرو بن عبيدة رجلاً وقال قل له وإن كان كافراً فإنه يقول (قل للذين كفروا أن ينتهوا... الآية) وإن كان فاسقاً فإنه يقول (أولئك هم الفاسقون إلا الذين تابوا) فقال للرجل : من أين لك هذا ؟ فقال : إختلج في صدري . قال : محال أصدقني . فقال : عمرو . فقال الحسن : عمرو وما عمرو ؟ وإذا قام بأمر تعد به وإذا تعد بأمر قام به ورجع .

(وقال) من لبس الصوف تواضعاً زاده نوراً في بصره وقلبه ومن لبسه إظهاراً للزهد وتكبراً كور في جهنم مع الشياطين . (وقال) ماكل الناس يصلح للبس الصوف لأنه يتطلب صفاءً ومراقبة . (وقيل له) ما سبب لبسك الصوف ؟ فسكت فقيل ألا تجيب . فقال إن قلت زهد أزيك نفسي أو فقر أو ضيق شكوت ربي .

(ولما بلغه موت الحجاج) سجد وقال اللهم عقيرك وأنت قتلتته فأمت سنته وأرحنا من عمله الخبيث .

(وقال) ذهبت المعارف وبقيت المناكر ومن بقي من المسلمين فهو مغموم . (وقال) إذا أراد الله بعبد خيراً في الدنيا لم يشغله بأهل ولا ولد . (وقال) من شرط المتواضع أن يخرج من بيته فلا يلقي أحداً إلا رأى له الفضل عليه . (وقال) شر الناس للميت أهله ليكون عليه ولا يهون عليهم قضاء دينه . (وقال) لا تشتر مودة ألف رجل بعداوة رجل واحد . (وقيل له) هل في البصرة منافق ؟ فقال لو خرج المنافقون منها لاستوحشت . (وقال) أكرم إخوانك يدم لك ودهم . (وقال) لو نظرت يابن آدم الى سير أهلك لأبغضت غرور أملك وكان ينشد :

ليس من مات فاسترام بميت إنما الميت ميت الأحياء

(وقال) وددت إن أكلت أكلة تصير في جوفي مثل الأجرة فإنه بلغنا أنها تبقى في الماء ثلاثمائة سنة . (وكان) إذا استأذن عليه أحد من إخوانه فإن كان عنده طعام أذن له والأخرج اليه ولا يتكلف فيما حضر . (وقال) كانوا يقولون لسان الحكيم من وراء قلبه إن أراد أن يقول يرجع الى قلبه فإن كان له قال والأمسك ، وإن الجاهل قلبه في طرف لسانه لا يرجع الى قلبه ما أتى على لسانه يتكلم . (وقال) الناس ينظرون الى الله يوم القيامة كما شاء بلا إحاطة . (وقال) الدنيا مطيتك إن ركبتها حملتك وإن ركبتك قتلتك . (وقال) الناس ينظرون الله يوم القيامة بلا إحاطة . (وقال) ورم العلماء في الدنيا والأموال . (وقال) إذا رأيت في ولدك ماتكره فاعلم أنه شيء تُراد به أنت فأحسن . (وقال) إذا أردت عداوة رجل فإن كان مطيعاً فأياك وإياه فإن الله تعالى لا يسلمه اليك ولا يخلي بينك وبينه وإن كان عاصياً فقد كُفيت مؤنته فلا تتعب نفسك بعداوته . (وقال) كل من اتبع طاعة الله امتلك مودته

وَمَنْ أَحَبَّ رَجُلًا صَالِحًا فَكَأَنَّمَا أَحَبَّ اللَّهَ . (وقال) مارأينا أحداً طلب الدنيا فأدرك الآخرة بها أبداً بخلاف العكس . (وقال) يبعث الله أقواماً يطلبون هذا العلم حسبةً وليس فيهم نية فيتبعهم بطلبه كي لا يضيع العلم وتبقى عليهم تبعته . (وقال) الإسلام أن تسلم قلبك لله تعالى فيسلم منك كل مسلم . (وقال) المحبُّ سكران لا يفيقُ إلا عند مشاهدة محبوبه . (وقال) يوسف بن اسباط مكث الحسن ثلاثين سنة لم يضحك وأربعين سنة لم يمزح .

(ودخل) مكة فرأى غلاماً من أولاد علي بن أبي طالب رضي الله عنه قد أسند ظهره الى الكعبة يعظُ الناس ، فوقف عليه الحسن رضي الله عنه ثم قال : ما ملك الدين ؟ قال : الورع . فقال : مائة الدين ؟ قال : الطمع . فتعجب الحسن من حسن جوابه مع صغر سنه .

(وقال) لا تصيب حقيقة الإيمان حتى لا تُعيبَ الناس بما هو فيك وحتى تبدأ بصلاح هذا العيب من نفسك فتصلحه . فإذا فعلت ذلك لم تصلح عيباً إلا وجدت آخر لم تصلحه . فإذا فعلت ذلك كان شغلك في خاصة نفسك وأحبَّ العباد الى الله من كان كذلك . (وقال) ياإبنت آدم بعِ دنيك بأخرتك تربحهما جميعاً ولا تبعم أخرتك بدنيك فتخسرهما جميعاً .

(وكتب) الى أمير المؤمنين عمر بن العزيز "خَفُ مما خوَّفَكَ اللهُ منه واحذر مما حدَّرَكَ اللهُ منه وخُذْ مما في يديك لما بين يديك فعند الموت يأتيك اليقين والسلام" .

(وعن الغزالي قدس الله سره) قال الحسن "يوزن مداد العلماء بدم الشهداء" .

(وقال) إن المؤمن يصبح حزيناً ولايسعه إلا ذلك لأنه بين مخافتين ؛ بين ذنبٍ قد مضى مايدري

مالله يصنع فيه وبين أجلٍ قد بقي مايدري مايصنع فيه من الممالك .

(وكتب) الى عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنهما :

"أعلمُ أن التفكر يدعو الى الخير والعمل به ، والندم على الشر يدعو الى تركه . فاحذر الدنيا الصارعة الخادعة التي تزينت بخدعها وغرت بغرورها وقتلت بأملها وتشوّفت لخطابها ، فهي كالعروس الجليلة العيون إليها ناظرة والنفوس لها عاشقة والقلوب اليها والهة ، وهي لأزواجها كلهم قاتلة مالباقى بالماضي معتبر ولا للآخر بما رأى من الأول مزجراً . . والناس فيها قسمان : قسم قد ظفر بها فباغتر وطغى ونسى بها المعاد والمبدء واشتغل فيها لبه وذهل عقله حتى زلت قدمه وجاءته أسرع شيء كان منيته فعممت ندامته وكبرت حسرته واشتدت كربته مع ما عالج من سكرات الموت . وقسم مات قبل أن يظفر منها بحاجته فذهب بكربه وغمه فلم يدرك منها طلب ولم يرح نفسه من النَّصَب ، خرجاً جميعاً بغير زاد وقدماً على غير مهاد . فاحذرهما الحذر كله فإنها مثل الحية ليئ مسها وسُمها يقتل ، وأعرض عما يعجبك فيها لقلّة مايصحبك منها وضع عنك همومها لما عانيت من فجائعها وأيقنت به من فراقها . وكن أسراً ماتكون فيها أحرّ ماتكون لها فإن صاحبها كلما إطمأن الى سرورها أعقبته بمكروه وكلما ظفر منها بشيء انقلب به . فالسار فيها غار والباقي فيها غدا ضار . وصلِ الرجا منها بالبلا وجعل البقا فيها الى الفنا ، سرورها مشرب بالحزن وآخر الحياة فيها الضعف والوهن . فانظر اليها نظر الزاهد المفارق . أمانيتها كاذبة . وأمالها باطلة . وعيشها نكد . وصفوها كدر . وأنت منها على خطر . إما نعمة زائلة وإما بليّة نازلة وإما منية قاضية ، ولو كان الخالق لم يخبر عنها بخبر ولم يضرب لها مثلاً ولم يأمر فيها بزهد لكان حالها قد أيقظ النائم ونبه

الغافل . وكيف وقد جاء عن الله عز وجل زاجر وواعظ فما لها عند الله قدر ولا وزن . وكيف لها وزن وهي لا تزن مقدار حصاة من الحصى ولا قدر ثراة من جميع الثرى ولا خلقاً خلقاً فيما بلغني أبغض اليه منها ولا نظر إليها منذ خلقها مقتاً لها . ولقد عُرِضَتْ على نبيِّنا محمد صلى الله عليه وسلّم سيد الأولين والأخرين بمفاتيحها وخزائنها لا ينقصه ذلك مما له عند الله جناح بعوضة فأبى أن يقبلها ومامنعه من القبول لها مع كونها لا تُنقصه مما له عند الله تعالى شيئاً إلا أنه علم صلى الله عليه وسلم أنها أبغض الأشياء الى الله تعالى . فابغضها لبغض مولاها إياها وصغّر شيئاً صغّره الله ووضع شيئاً وضعه الله ولو قبلها كان دليلاً على حبه إياها ولكنه صلى الله عليه وسلم كره أن يحب ما أبغض خالقه وأن يرفع ما وضع مالكه .

ومما يدل على شر هذه الدنيا أن الله تعالى قبضها عن أنبيائه وأحبابه إختياراً وبسطها لغيرهم إختياراً وإغتراراً ، فيظنُّ المفرور بها أنه أكرم بها ونسي المفرور المغبون ما صنم الله تعالى بأنبيائه وأحبابه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين : (أما محمد) سيد الخلق صلى الله عليه وسلّم فقد شدّ الحجر على بطنه من الجوع * وأما موسى الكليم عليه الصلاة والسلام فرأى خضرة البقل من صافات بطنه من هزاله وماسأل الله تعالى يوم أوى الى الظلّ طعاماً يأكله من جوعه ، ولقد جاءت الروايات عنه أن الله تعالى أوحى اليه أن ياموسى إذا رأيت الفقر مقبلاً فقل مرحباً بشعار الصالحين وإذا رأيت الغنى مقبلاً فقل ذنبٌ عجلت عقوبته * وأما عيسى عليه الصلاة والسلام روم الله وكلمته ففي أمره عجيبه كان يقول آدمي الجوع وشعاري الخوف ولباسي الصوف ودابتي رجلي وسراجي بالليل القمر وصلاتي في الشتاء مشارق الشمس وفاكمتي وريحاني ما أنبتت الأرض للسبام والأنعام ، أبيتُ وليس لي شيء وليس أحدٌ أغنى مني * وأما سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام فكان مع ملكه يأكل خبز الشعير في خاصته ويطعم أهله الخشكار ويطعم الناس الدرهم فإذا جنّ الليل لبس المسوم وغلّ اليد الى العنق وبات باكياً حتى يصبح يأكل الخشن من الطعام . يفعلون ذلك قربةً الى الله تعالى ويبغضون ما أبغض الله عز وجلّ ويصغّرون ما صغّره الله تعالى . ثم جاء الصحابة والتابعون ومن بعدهم من الأئمة الصالحين فسلكوا منهاجهم وألزموا أنفسهم الفكر والعبر ونظروا الى آخر الدنيا وباطنها ولم ينظروا الى أولها وظاهرها ونظروا الى عاقبة مرارتها ولم ينظروا الى حلاوتها وألزموا أنفسهم الصبر عنها . أنزلوا الدنيا بمنزلة الميتة التي لا يحلّ الشبم منها في حال الضرورة اليها ، فأكلوا منها قدر ما ردّ النفس وأبقى الروم ومكّن النوم ، وجعلوها بمنزلة الجيفة التي اشتدّ نتنٌ ريحها فكلّ من مرّ بها أمسك على أنفه منها .

هذه منزلتها عندهم ، فهم يعجبون من الأكل منها شبعاً والتلذذ بها أشراً ويقولون في أنفسهم "أترى هؤلاء لا يخافون من هذا الأكل ما يجدون ريم النتن؟" هي والله يا أخي في العاقبة والعاجلة أنتنّ من الجيفة الموصوفة غير أن أقواماً استحلوا الصبر على أكلها ولا يجدون ريم النتن والذي نشأ في ريم الأهاب لا يجد نتنهُ ، وكيفي العاقل منها أن من مات وترك مالاً سره إن كان فقيراً أو شريفاً إن كان فيها وضيعاً أو كان فيها معافى سره إن كان فيها مبتلى أو سلطاناً سره إن كان فيها سوقة . والله لو كانت الدنيا من أراد منها شيئاً وجدته في وقته من غير تعب غير انه إذا أخذ منها شيئاً لزمه حقوق الله تعالى فيه وسأله عنه وأوقفه على حسابه لكان ينبغي للعاقل ان لا يأخذ إلا قدر قوته حذراً من

السؤال والحساب .

وإنما الدنيا إذا فكرت فيها ثلاثة أيام : يوم لاترجوه ويوم أنت فيه ينبغي لك أن تعتنمه ويوم يأتي لاتدري أنت من أهله أم لا ولاتدري لهلك تموت قبله ؟ فأما أمس فحكيم مؤدب وأما اليوم فصديق ، غير أن أمس وإن كان قد فجعك بنفسه فقد بقي في يديك حكمة وإن كنت قد أضعته فقد جاءك خَلْفٌ منه كان عنك طويل الغيبة وهو الآن منك سريع الرحلة . (وغداً) في يديك منه أمله فخذ في العمل وترك الغرور بالأمل قبل حلول الأجل وإياك أن تُدخِلَ على اليوم همَّ غده وهمَّ ما بعده ، يكفي اليوم همُّ ، وغداً إذا دخل عليك دخل يشغله . فإنك إذا أدخلت على اليوم همَّ ما بعده زدت في حزنك وتعبك وأردت أن يجمع لك في يومك مايكفيك أيامك ، هيئات كثر الشغلُ وزاد الحزنُ وعظم التعبُ وأضاع العبد العمل بالأمل ، ولو كان الأمل في غدك خرج من قلبك لأحسنت اليوم في عملك واقتصرت .

فَلأصنَّفَ لك الدنيا ساعة بين ساعتين : ساعة ماضية وساعة باقية فالماضية والباقية لاتجد لراحتهما لذة ولا لبلائهما أملاً ، وإنما الدنيا ساعة أنت فيها فالأسف إن صرفتك تلك الساعة عن الجنة وصيرتك غداً إلى النار . وإنما اليوم إن عقلت ضيف نزل بك هو مرتحل عنك ، فإن أحسنت نزله وقراه شهد لك وأثنى عليك بذلك وصدق فيك . وإن أسأت ضيافته ولم تحسن قراه جاءك في عينيك . وهما يومان بمنزلة الأخوين نزل بك أحدهما فأسأت إليه ولم تُحسن فيما بينك وبينه فجاءك الآخر بعده فقال إني جنتك بعد أخي وإن إحصانك يمحو سيئاتك ويغفر لك ما قد صنعت فدونك قد جنتك بعد أخي المرتحل عنك فقد ظفرت بخلف منه ، إن عقلت فتدارك ما قد صنعت وإن ألحقت الآخر بالأول فما أخلقتك أن تهلك بشهادتهما عليك . وإن الذي قد بقي من العمر لا ثمن له ولا عدل فلو اجتمعت الدنيا كلها ما عدلت يوماً ولا ساعة بقي من عمر صاحبه ، فلا تبعم اليوم بغير ثمنه ولا يكون المقبور والمدفون أعظم تعظيماً لما في يديك منك . فلعمري لو أن مدفوناً في قبره قيل له هذه الدنيا من أولها إلى آخرها نجعلها لولدك من بعدك يتنعمون فيها من ورائك فقد كنت ليس لك هم غيرهم ، أحب إليك أم يوم نُؤثرك فيه بعمل لنفسك لإختار ذلك اليوم ، بل ولو اقتصر على ساعة لإختارها بل لو اقتصر على كلمة يقولها لإختار الكلمة الواحدة . فانتقد اليوم لنفسك وأبصر الساعة وأعظم الكلمة واحذر الحسرة عند نزول الكسرة ولاتأمن أن يكون هذا الكلام حجة عليك نفعنا الله وإياك بالموعظة ورزقنا خير العواقب والسلام عليك ورحمة الله وبركاته" .

(ووعظ رضي الله عنه) أصحابه فقال إن الدنيا دار عمل من صحبها بالبُغْضِ لها والزهادة فيها سعد بها ونفعت صحبها ، ومن صحبها على الرغبة فيها والمحبة لها شقي فيها وأجحف بحظه من الله تعالى ثم أسلمته إلى ما لا صبر له عليه ولا طاقة له من عذاب الله ، فأمرها صغير ومتاعها قليل والفناء عليها مكتوب وأهلها يتحولون عنها إلى منازل لاتبلى ولا يغيرها طول الزمن . لا العمر فيها يفنى فيموتون ولا وإن طال الثوى منها يخرجون . فاحذروا ، ولا قوة إلا بالله ، ذلك الموطن وأكثروا ذكر ذلك المنقلب واقطعوا من الدنيا أكبر همومكم فإنها والله مفضية بأهلها إلى ندامة طويلة وعذاب شديد . فلاتكونن يابن آدم مغترراً ولاتأمنن مالم يأتك الأمان فيه فإن الهول الأعظم أو مقطعات الأمور أمامك ، ويحك ابن آدم ماضرك ما أصابك من شدائد الدنيا إذا خلص لك خير الآخرة فُضم القوم (ألهاكم التكاثر... الآية) . (وقال) إن لأهل التقوى علامات يُعرفون بها : صدق الحديث ، ووفاء العهد ، وصلة الرحم ،

ورحمة الضعفاء ، وقلة الفخر والخيلاء ، وبذل المعروف ، وقلة المباهاة للناس ، وحسن الخُلق مما يقرب الى الله تعالى . (وقال) في قوله تعالى (هاؤم إقرأوا كتابيه) إن المؤمن أحسن الظنِّ بربه فأحسن العمل ، وإن المنافق أساء الظنَّ فأساء العمل . (وقال) مَنْ كان فيه أربع خلال أعاده الله من الشيطان : أن يملك نفسه عند الرغبة والرغبة والشهوة والغضب . (وقال) إن من أعظم الحسرات غداً أن يرى الرجل ماله في ميزان غيره ، أتدرون كيف هذا ؟ رجلٌ أتاه الله مالاً فأمره بإنفاقه في صنوف حقوق الله فبخل به فورثه الوارث ففعل ما أمره الله تعالى ، فهو يرى ماله في ميزان غيره فيالها من حسرةٍ لا تُقال وتوبةٍ لا تُنال . (وقال) إن العبد لا يزال بخير ما كان له واعظ من نفسه وكانت المحاسبة من همم . (وقال) أبى الله أن يعصيه عبداً إلا أذلهُ الله . (وقال) مامت رجل يعرف نعمة الله عليه فيقول الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات إلا أغناه الله وزاده . (وقال) رحم الله رجلاً لبس خلقاً وأكل كسرة ولزقاً بالأرض وبكى على الخطيئة ودأب على العبادة . (وقال) أصبحت بين مطيبتين الليل والنهار يعرجان بك حتى تقدم الأخرة فإما الى الجنة وإما الى النار فمن أعظم خطراً منك .

(وسئل) عن صفة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكى ثم قال " ظمرت منهم علامات الخير في السيماء والسمت والصدق وحسنت ملابسمم بالإقتصاد وملاسمم بالتواضع ومنطقهم بالعمل ومطعمهم ومشربهم بالطيب من الرزق وخضوعهم بالطاعة لربهم تعالى وإنقيادهم للحق فيما أحبوا وكرهوا وإعطائهم الحق من نفسهم ، ضمنت هواجرهم ونحلت أجسامهم واستخفوا بسخط المخلوقين لرضا الخالق لم يفرطوا في غضب ولم يحيفوا في وجود ولم يجاوزوا حكم الله متمسكين بالكتاب والسنة قد شغلوا الألسن بالذكر وبذلوا لله تعالى دماءهم حين استنصرهم وبذلوا لله تعالى أموالهم حين استقرضهم لم يكن خوفهم من المخلوقين ، حسنت أخلاقهم وهانت مؤنتهم وكفاهم اليسير من دنياهم الى آخرتهم " . (وقال) المؤمن من يعلم أن ما قاله الله عز وجل كما قال ويكون من أحسن الناس عملاً وأشدهم خوفاً لو أنفق جبلاً من مال ما أمّن دون أن يعاين ، كلما ازداد صلاحاً وعبادة ازداد خوفاً يقول لعلّي لأنجو والمنافق يقول سواد الناس كثير وسيُغفر لي ولا بأس عليّ فينسى العمل ويتمنى على الله عز وجل . (وكان) إذا تلا قوله تعالى (لاتغرّنكم الحياة الدنيا ... الآية) يقول مَنْ قال ذا قاله من خلقها وهو سبحانه وتعالى أعلم بها . (وقال) الرجا والخوف مطيبتا المؤمن . (وقال) مامت عبدٌ قُسم له رزق يوم بيوم فلم يعلم أنه قد خيّر له إلا عاجز أو غبي الرأي .

(وعن الأعمش) قال : كنا إذا دخلنا على الحسن خرجنا ولانعد الدنيا شيئاً .

(وقال) إن المؤمن ليعملُ الذنب ولا يزال به كئيباً . (وروى عنه الغزالي) يخرج رجل من النار بعد ألف عام وياليتني أنا ذلك الرجل ، قال الغزالي قدّس الله سرّه وإنما قال ذلك لخوفه الخلود بسوء الخاتمة . (وقال) إذا حمد المريض الله وشكره ثم ذكر أوجاعه لم يكن ذلك شكوى .

(ولما) وُلّي ابن هبيرة الفزاري العراق وأضيفت اليه خراسان أرسل الى الحسن وابن سيرين والشعبي وذلك سنة ثلاث ومائة ، أيام يزيد بن عبد الملك فقال لهم : " إن يزيد بن عبد الملك يكتب اليّ كتاباً في أمور أعلم أن في إنفاذها الهلكة فإن أطعته عصيت الله وإن عصيته أطعت الله فماترون ؟ " فقال ابن سيرين والشعبي قولاً فيه تقيّة . فقال ابن هبيرة : ماتقول أنت ياأبا سعيد ؟

قال : ياابن هبيرة خَفِ الله في يزيد ولا تخف يزيد في الله إن الله يمنعك من يزيد وإن يزيد لا يمنعك

من الله وأوشك أن يرسل اليك ملكاً فيزيلك عن سريرك ويخرجك من سعة قصرك الى ضيق قبرك ثم لاينجيك إلا عمك . ياعمر ولا تأمن أن ينظر الله اليك وأنت على أقبح ماتعمل في طاعة يزيد بن عبد الملك نظر مقت فيفلت باب التوبة دونك . ياابن هبيرة إن تعصب الله فإنما جعل الله هذا السلطان ناصر الدين وعباده . فلا تركب دين الله وعباده بسلطان الله فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

فبكى ابن هبيرة وقام بعبرته وأجازهم وأضعف جائزة الحسن . فقال الشعبي لابن سيرين : سفسفنا له فسفسف لنا .

(ورأى الحسن) يوماً رجلاً وسيماً حسن الهيئة فسأل عنه فقيل إنه يسخر للملوك ويحبونه . فقال لله أبوه مارأيت أحداً طلب الدنيا بما يشبهها إلا هذا .

(وكانت) أمه تقص للنساء ودخل عليها يوماً وفي يدها كراثة تأكلها فقال لها : يا أماه ألق هذه البقلة الخبيثة من يدك . فقالت : يا بني إنك شيخ قد كبرت وخرفت . فقال : يا أماه أينا أكبر ؟

(وولد) رضي الله عنه في زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لسنتين بقيتا من خلافته بالمدينة وحنك بيده .

(وكان) أبوه مولى زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه وهو من سبي ميسان (بفتح الميم وسكون الياء التحتية وفتح السين المهملة وبعد الألف نون) بليدة بأسفل البصرة واسمه يسار ويلقب بأبي الحسن . (وأمه) خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وربما غابت في حاجة فيبكي فتعطيه أم سلمة رضي الله عنها ثديها تعلقه به الى أن تجيء أمه فدر عليه ثديها فشره ، فيرون أن تلك الحكمة والفصاحة من بركة ذلك . قال أبو عمرو بن العلاء مارأيت أفصح من الحسن البصري ومن الحجاج بن يوسف الثقفي ، فقيل له فايهما أفصح قال الحسن . (روي) عن الربيع بن أنس قال إختلفنا الى الحسن عشر سنين أو ماشاء الله مامن يوم إلا أسمع منه ما لم أسمع من قبله .

(ونشأ) بوادي القرى وكان من أجمل أهل البصرة ، رأى طلحة بن عبد الله وعائشة ولقي علي بن أبي طالب وسمع ابن عمر وأنساً وأبا بكر وجماعة من الصحابة وسمع خلائق من كبار التابعين .

(توفي) بالبصرة مستهلاً رجب سنة عشر ومائة وكانت جنازته مشهودة ، قال حميد الطويل توفي الحسن عشية الخميس وأصبحنا يوم الجمعة ففرغنا من أمره وحملناه بعد صلاة الجمعة ودفناه فتبع الناس كلهم جنازته واشتغلوا به فلم تقم صلاة العصر بالجامع ولأعلم أنها تركت منذ كان الإسلام . وأغمي عليه عند موته ثم أفاق فقال "لقد نبهتموني من جنات وعيون ومقام كريم" . (وقال رجل) قبل موت الحسن لابن سيرين رأيت كأن طائراً أخذ أحسن حصة بالمسجد ، فقال إن صدقت رؤياك مات الحسن . فلم يكن إلا قليلاً حتى مات الحسن ولم يحضر ابن سيرين جنازته لشيء كان بينهما ثم توفي بعده بمائة يوم .

(وكان) الحكم بن حجل صديقاً لابن سيرين فلما مات حزن عليه الحكم حتى جعل يعاد كالمريض ثم رآه في المنام في قصر على أفضل حال قال فقلت له يا أخي أراك في أحسن حال يسرني فما صنع الحسن ؟ قال رفع فوقي بسبعين درجة . قلت بماذا قال بطول حزنه . (ورأى) بعض الأولياء ليلة موته أبواب السماء مفتحة وكان منادياً ينادي إلا إن الحسن البصري قدم على الله وهو عنه راض رضي الله عنه . ثم تلقى سر هذه النسبة الشريفة سيدنا حبيب العجمي رضي الله عنه .

الإمام أبو محمد حبيب الفارسي المعروف بحبيب العجمي رضي الله عنه

كان حسن التربية والسياسة وافر الممة والرياسة مُجاب الدعوة محافظاً على الخلوة لإكتساب الجلوة . وكان من التجار ساكني البصرة وسبب إقباله على الأجلة وانتقاله عن العاجلة انه حضر مجلس البصري فالتفت إليه فوعظه فوعظته فوعظته من قلبه . فخرج عما كان يملك وفرقه في سبيل الله حتى لم يبق معه شيء ، فجعل يستقرض على الله عز وجل الى أن كان منه ما كان وجد واجتهد واشترى نفسه أولاً من الله عز وجل بأربعين ألف دينار في أربع دفعات تصدق بعشرة آلاف في أول النهار وقال يارب اشتريت نفسي منك بهذا ثم أتبعها بعشرة آلاف أخرى فقال هذا شكراً لما وفقتني له ثم أخرج عشرة آلاف دينار أخرى فقال يارب إن لم تقبل مني الأولى والثانية فاقبل هذه ثم تصدق بعشرة آلاف أخرى فقال يارب إن قبلت مني الثالثة فهذه شكراً لها .
(وكان) يبكي الليل كله فتقول له أمه ما هذا البكاء فيقول دعيني فإني أريد أن أسلك طريقاً لم أسلكه من قبل .

(ومن كلامه) إن الشيطان يلعب بالقرء كما يلعب الصبيان بالجوز . (وقال) لاتقعوا فراغاً فإن الموت يليكم . (وقال) إن من سعادة المرء إذا مات ماتت معه ذنوبه .
(وكان) يخلو في بيته ويقول لا قرّة عين لمن لم تقر عينه بك ولا فرح لمن لا يفرح بك ، وعزتك وجلالك إنك تعلم أنني أحبك وأنت فعلت ذلك بي .
(ومن كراماته) أن رجلاً اشتكى إليه ديناً فقال له : اقترض وأنا ضامن . فأتى رجلاً فأقرضه خمسمائة درهم وضمنها أبو محمد فطولب عند الإستحقاق ، فقال لرب الدين : غداً إن شاء الله تعالى تصل اليك . فتوضأ أبو محمد ودخل المسجد ودعا الله تعالى . وجاء الرجل فقال له حبيب : اذهب فإن وجدت في المسجد شيئاً فخذ . فذهب الرجل فإذا في المسجد صرة فيها خمسمائة درهم فوزنها فوجدتها زائدة فأخبره بذلك ، فقال : اذهب فهي لك الذي وزنها وزنها راجحة .
(وعجبت) أمه فذهبت تجيء بنار لتخبزه فأتاه سائل فأعطاه العجيب . فجاءت فقالت : أين العجيب ؟ فقال : ذهبوا يخبرونه . فأكثرت عليه فأخبرها فقالت : لابد من شيء نأكله . فإذا برجل لا يعرف جاء بجفنة عظيمة مملوءة خبزاً ولحماً . فقالت : ما أسرع ماردوه عليك وقد خبزوه وجعلوا معه لحماً .
(وكان) يأخذ متاعاً من التجار فيتصدت به فأخذ مرة فلم يجد ما يوفيه فقال " يارب إن الناس يحسنون ظنهم بي أنت فعلت بي ذلك من سترك علي فلاتخلف ظنهم بي فينكسر وجهي عندهم " . ثم دخل داره فإذا هو بجوالق من الأرض الى سقف البيت مملوءة دراهم . فقال " يارب ليس أريد هذا فأخذ حاجته وترك البقية .
(وقال له رجل) : لي عليك ثلاثمائة . قال : من أين . قال : لي عليك . قال : اذهب الى غد . ثم قال اللهم إن كان صادقاً فأد اليه وإلا فابتليته في بدنه . فجيء به محمولاً مفلوجاً . فقال التوبة . قال " اللهم إن كان صادقاً فعافه " فكانما نشط من عقاب .

(وأذاه رجل) وأغظَ عليه فرغم يديه الى السماء وقال "اللهم إن هذا قد شغلنا عن ذكرك فأرحنا منه" فخرَّ ميتاً .

(وأصاب) الناسَ جماعةً فاشتري سويقاً ودقيقاً بنسيئة وعمد الى خرائط فخالها ووضعها تحت فراشه ثم دعا الله عزَّ وجلَّ فجاء أرباب الديون بعد مدة يطلبون الثمن فأخرج تلك الخرائط وقد امتلأت فقال لهم زنوا فوزنوا حقوقهم .

(وقدم) رجلٌ من أهل خراسان وكان قد باع ما كان له وعزمَ على سكنى البصرة فلما قدمها كان معه عشرة آلاف درهم فأراد الخروج الى مكة هو وامراته ، فسأل الناس لمن يودع العشرة آلاف درهم فقبل لأبي محمد . فاتاه فقال : اني قاصد وامراتي الى مكة وهذه عشرة آلاف أريد أن أشتري بها منزلاً بالبصرة فإن وجدت منزلاً ويخف عليك أن تشتري لنا بها فافعل . ثم سافر الرجل الى مكة فأصابته الناس بالبصرة جماعة فشاور حبيب أصحابه أن يشتري بالعشرة آلاف دقيقاً ويتصدت به ، فقالوا إنما وضعها المشتري لمنزل . فقال "أنا أتصدت بها فأشتري له بها من ربِّي منزلاً في الجنة ، فإن رضي والآ دفعته اليه درهم" ، فاشتري بها دقيقاً وخبزهُ وتصدت به . فلما قدم الخراساني من مكة أتى حبيباً فقال : يا أبا محمد اشتريت لنا منزلاً أو تردّها علي فأشتري أنا بها ؟ فقال : قد اشتريت لك منزلاً فيه قصور وأشجار وأثمار وأنهار . فأنصرف الى امراته فرحاً مسروراً فقال "قد اشتري لنا حبيب منزلاً أراه كان لبعض الملوك فإنه قد عظم أمره وما فيه من أشجار وأثمار وأنهار" . ثم أقام الخراساني يومين أو ثلاثة وجاء الى حبيب فقال : يا أبا محمد أين المنزل الذي اشتريت لي ؟ فقال : اشتريت لك من ربِّي منزلاً في الجنة بقصوره وأشجاره وصفاته . فأنصرف الرجل الى امراته أشد فرحاً من الأول وقال لها : إن حبيباً اشتري المنزل من ربّه عزَّ وجلَّ في الجنة . فقالت له امراته : أرجو أن يكون قد وثق الله حبيباً وماقدر ما يكون لبئنا في الدنيا فارجم اليه فليكتب لنا كتاباً بعهدة المنزل . فاتاه فقال نعم فدعى من يكتب له الكتاب :

"بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اشتري أبو محمد حبيب من ربّه عزَّ وجلَّ لفلان الخراساني اني اشتريت له منزلاً في الجنة بقصوره وأنهاره وأشجاره وصفاته بعشرة آلاف درهم فعلى ربّه سبحانه وتعالى أن يدفع هذا المنزل الى فلان الخراساني ويبريء حبيباً من عهده" .

فأخذ الخراساني الكتاب وانطلق به الى منزله وامراته فدفعه اليها . وأقام الخراساني نحواً من أربعين يوماً ثم حضرته الوفاة ، فأوصى امرأته إذا متَّ وغسلتموني وكفنتموني فاجعلوا هذا الكتاب في أكفاني ففعلوا ذلك . فلما دفنوا الرجل وجدوا على ظهر قبره رقماً مطويّاً فيه مكتوب ليس شبيه مكاتيب الدنيا فنشروه فإذا فيه براءة الحبيب أبي محمد من المنزل الذي اشتراه لفلان الخراساني بعشرة آلاف درهم ، فقد دفع ربُّه الى الخراساني كما شرط له حبيب وأبراه منه . فأتي حبيب بالكتاب فجعل يقرؤه ويقبله ويبكي ويروم الى أصحابه ويقول "هذه براءتي من ربِّي عزَّ وجلَّ" .

(وجاءه) رجلٌ فاشتكى وجعاً في رجله وسأله أن يدعوه له وكان في مجلسه ، فلما تفرقت الناس أخذ المصحف وعلقه في عنقه وقال "يا الله لاتسود وجه حبيب ، ثم قال اللهم عافه حتى ينصرف ولايعرف في أي رجله كان الوجع" فوجد الرجل العافية في الحال . فسأله في أي رجلك كان الوجع ؟ فقال لأدري . (وكان) يرى بالبصرة يوم التروية ويرى بعرفه عشية عرفه .

(وجزم) عند الموت جزعاً شديداً وقال "أريد أن أسافر سافراً ماسافرتة قطّ وأسالك طريقاً ماسلكته قطّ وأريد أن أدخل تحت التراب فأبقى تحته الى يوم القيامة ثم أقف بين يدي الله تعالى فماذا أقول".
(وكان) مشغولاً بالتعبُّد فلم يعرف له رواية رضي الله عنه وإنما نُسب الى العجم لبقاء لسانه حتى لم يقدر على تجويد القرآن ، نُقل أنه كان يقرأ الحاء هاءً في الحمد لله رب العالمين . (وكان يقول) اني وان كان لساني عجمياً لكن قلبي عربي .
(توفي) سنة خمس وعشرين ومائة في البصرة ودُفن بها رضي الله عنه ، ثم تلقى سرّ هذه النسبة الشريفة منه سيدنا داود الطائي رضي الله عنه .

سيدنا أبو سليمان داود بن نصير الطائي الكوفي

رضي الله عنه

الفيقيه الواعي البصير الراوي العابد الطاوي أبصر معتبراً وسبقاً مبتدراً وتشمر منتصباً وانتظر مرتقباً أضناه الفرق وأفناه القلق . (وقد قيل) إن التصوف تشمر لإستبات وتضمّر للحاق . وقد أثنى عليه كثير من الأعيان فقالوا كان رفيع المقدار كثير المرديد والأنصار فسيم الأركان عظيم الشأن واضم المنهاج بحر علمه مترام الأمواج . (أسند) الحديث عن عبدالمك بن عمير وعروة بن هشام والأعمش (وعنه) ابن عليّة وإسحق السلولي وأبو نعيم ومصعب بن المقدم وجماعة .

(قال الذهبي) وكان إماماً فقيهاً ذا فنون عديدة ثم تعبد وأثر الوحدة وأقبل على شأنه وساد أهل زمانه . (وقال غيره) كان يحضر مجلس أبي حنيفة فقال له أبو حنيفة يوماً في تقريره : أما الآلات فقد أحكمناها . فقال له داود : فما بقي ؟ قال : العمل بما علمناه .

فاعتزله وتزهد وتعبد وانقطع لذلك حتى صار في المجاهدة فحلاً من الفحول ، هجر الوطن ووقف المواقف التي تهول وثبت حيث الأقدام تزل والأحوال تحول . (وقال محمد بن بشر) قدم علينا داود الطائي من السواد فكنا نضحك منه فما مات حتى سادنا . (وقيل) إنما سبب توبته أن امرأة جاءت الى أبي حنيفة تسالنه عن مسألة فأجابها فأعجبت بجوابه ثم قالت "هذا العلم فأين العمل ؟" فأثر كلامها في قلب داود فاعتزل وتعبد فصار عظيم الشأن علماً وزهداً وورعاً .

(وأته) بعض رفاقه في الدرس فقال : يا أبا سليمان جفوتنا . فقال : ليس مجلسكم ذاك من أمر الآخرة في شيء . ثم استغفر ثم قام فتركه .

(وكان) إذا خرج مشى في الطريق المهجورة البعيدة فيقال له الطريق من ههنا أقرب فيقول "فر من الناس فرارك من الأسد" . (ومكث) أربعاً وستين سنة أعزب ، قال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه فليل كيف صبرت على النساء ؟ قال "قاسيت شهوته عند إدراكي سنة ثم ذهبت شهوته من قلبي" . قال أبو سليمان الداراني فمن صبر عنهن عند إدراكه سنة لم يعرفهن حلاً ولا حراماً .

(وقال أحمد بن ضرار العجلي) أتيت داود فوجدته في دار واسعة خربة ما فيها إلا بيت ليس فيه باب ، فقلت : يا أبا سليمان أنت في دار وحشة لو اتخذت لبيتك هذا باباً ماتستوحش . فقال : حالت وحشة القبر بيني وبين وحشة الدنيا وأهلها .

(وكان) قد ورث من أمه أربعمئة درهم فمكث يتقوت بها ثلاثين عاماً فلما نفذت جعل ينقص سقوف الدويرة فيبيعها حتى باع الخشب والبوازي واللبن الى أن بقي نصف سقف وكان باب داره مرقوعاً قصيراً لو أن غلاماً وثب لسقط الى الدار .

(وكان) الغالب عليه الحزن فكان يقول بالليل : إلهي همك عطّل عليّ الهموم وحاك بيني وبين الرقاد وشوقني الى النظر ومنعني اللذات والشهوات فأنا في سجنك أيها الكريم . وكان يترنم في السحر بشيء من القرآن فيرى إن جميع نعيم الدنيا في ترنمه تلك الساعة .

(وكان) لا يسرج سراجاً أبداً . وكان يُخبز له ستين رغيفاً يعلقها بشريط يفطر كل ليلة على رغيفين

بملم وماء ، فجاءته ليلة من الليالي مولاة له بتمر على طبق فأفطر ثم أحيا ليله . فلما جاء وقت الإفطار قال جار له سمعته يحدث نفسه ويقول إشتهيت البارحة تمرأ فأطعمتك وإشتهيت الليلة تمرأ لا ذات داود تمرأ مادام في دار الدنيا ، فما ذاقه حتى مات .

(وقالت له مولاته) : لوطبخت لك دسماً . قال : فافعلي . فطبخت له شحماً ثم جاءت به فقال : ما فعل أيتام بني فلان . قالت : على حالهم . قال : إذهي به اليهم . قالت له : فديتك إنما تأكل هذا الخبز بالماء . فقال : إني إذا أكلته كان في الحش ، فإذا أكله هؤلاء الأيتام كان عند الله عز وجل مذكوراً .

(وقال أبو أسامة) جئت أنا وابن عيينة الى داود الطائي فقال "قد جئتماني مرة فلاتعودوا اليّ . " وكان لا يخرج من منزله حتى يقول المؤذن قد قامت الصلاة فيخرج فيصلي فإذا سلم الإمام أخذ نعله ودخل منزله . (وقال أبو الربيع) كنت أحب أن أجتمع معه فكان ذلك دأبه فلما طال ذلك علي أدركته يوماً فقلت : أبا سليمان على رسلك . فوقف . فقلت : أوصني . قال : اتق الله وإن كان لك والدان فبرهما ثلاث مرات "ثم قال في الرابعة" ويحك صم الدنيا ثم اجعل الفطر موتك واجتنب الناس غير تارك لجماعتهم .

(وجاء) صديق له فقال له : ياأبا سليمان لو أعطيتني هذه الدنانير فأبضعتها لك لعلها تريح . فما زال به حتى دفعها اليه ثم فكر فيها فلقيه بعد العشاء الأخرى فقال : ارددها علي . فقال : ولم ياأخي ؟ قال : أخاف أن يدخل فيها شيء غير طيب فأخذها .

(وأناه ابن أخيه) فقال : ياعم هل تكره التجار ؟ قال : لا . فقال : أعطني شيئاً أتجرب به . فأعطاه ستين درهماً فمكث شهراً ثم جاء بعشرين ومائة درهم فقال : هذه ربهما . فقال : أنت كل شهر تريح الدرهم درهماً ينبغي أن يكون لك بيت مال أردت أن تخدعني . ثم رمى بها اليه وقال : رد علي رأس مالي . (وقال عبدالرحمن بن عمرو) إستشارني محمد بن عامر في ترك التجارة فأشرت عليه أنا ومحمد بن النعمان أن لايترك ، فكتب الي أخ له ببغداد ما أشرنا عليه فكتب اليه "إن أخويك لم ينصحك إن داود الطائي باع عقدة له فقيه له لو جعلتها في التجارة يدخل عليك منها شيء فقال لا إما أن تسبقني وإما أن أسبقها فجعل ينفق منها ديناراً ديناراً فمات وقد بقي منها دينار فكَفَّتْ به" .

(وعن صالح بن مسلم العجلي) قال دخلت على داود الطائي في مرض موته وليس في بيته إلا دية مقيراً يكون فيه خبز يابس ومطهرة ولبنة كبيرة يجعلها وسادة وهو على التراب وليس في بيته بارية (يعني الحصير) ولا قليل ولا كثير . (وكان) من جيران داود امرأة كبيرة أخته من الرضام فصنعت يوماً ثريدة بسمت ثم بعثت بها اليه حين إفطاره مع جارية لها . قالت الجارية "فأتيته بالقصعة فوضعها بين يديه فسعى لياكل منها فوقف سائل على الباب فقام ودفع اليه القصعة وجلس معه على الباب حتى أكلها . ثم دخل فغسل القصعة ثم عمد الى تمر كات بين يديه ظننت أنه كان أعدّه لعشائه فوضعه في القصعة ودفعها اليّ وقال أقرئها السلام . فأعطى السائل ماجئناه به وأعطاني ما أراد أن يفطر عليه وأظنّه مايات إلا طويلاً وكان قد نحل جداً" .

(وكان) في ليلة مقمرة فقام يمشي على السطم وهو شاخص حتى وقع في دار جار له ، قال فوثب صاحب الدار عرباناً من الفراش وأخذ السيف وظن أنه لص فلما رأى داود رجع ولبس ثيابه ووضع السيف وأخذ بيد داود حتى رده الي داره فقيه له ذلك فقال مادريت وماشعرت . (وقال أبو خالد) مررت أنا وسفياث الثوري بمنزل داود فقال لي سفياث : أدخل بنا اليه نسلم عليه .

فدخلنا فما احتفك بسفيان ولا إنبسط له فلما خرجنا قلت له : ياأبا عبدالله غاظني ما صنع بك . قال :
أي شيء صنع بي ؟ قلت : لم يحتفك بك ولم يبتسم اليك . قال : إن أبا سليمان لايهتم في مودته أما
رأيت غيبته عن نفسه هذا في شيء غير ما نحن فيه .

(وقال حماد بن الحنفية) جئت أنا والحسن بن زياد الى داود فقرعت الباب فخرجت عجوز ثم ردت الباب
ورجعت تستأذن فسمعه يقول "مادخلك من داخل الدار ماأنا والناس وماأنا حتى يأتيني الناس؟" ثم أذن
لنا . فلما دخلنا عليه قلت له : بلغني يا أبا سليمان أنك تقول "إذا صلى العبد وهو جنب يقوم أعاد ولم
يعيدوا" . قال : كذا أقول . قلت : إن أبي وأصحابنا يقولون إن عليهم الإعادة .
قال داود : إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال "يعيد ولايعيدون" وما أبالي إذا وافقت عمر بن الخطاب
بمن خالفت من أهل الأرض من بعده .

(ومر) داود يوماً بموضع فلما وقم نظره عليه خر مغشياً عليه فحمل الى منزله ، فلما أفاق سئل عن
ذلك . فقال "تذكرت أنني كنت قد إغتبت رجلاً في هذا الموضع فذكرت مطالبته إياي بين يدي الله عز وجل
فلم أملك نفسي لأجل ذلك .

(وقدم) محمد بن قحطبة الكوفة وهو ابن عم داود فطلب مؤدياً يؤدب أولاده حافظاً للقرآن عارفاً بالسنة
والآثار والفقه والنحو والتفسير والأصول والشعر وأيام الناس . فقبل له مايجمع هذه العلوم إلا داود
الطائي . فأرسل اليه يعرض عليه ذلك ويسني له الأرزاق فلم يقبل . فأرسل اليه بكرة عشرة آلاف درهم
صلة فلم يقبلها . فأرسل اليه بدرتين مع مملوكين وقال لهما إن قبلهما فإنهما حران . فلم يقبلهما فقالا
له إن في قبولهما عتقنا ، فقال لكن في قبولهما رقي ورهن رقبتني في النار أرجع اليه وقولا له يردهما
الى من أخذهما منه .

(وصام) أربعين سنة لايعلم به أهله وكان خرازاً وكان يحمل غداءه معه ويتصدق به في الطريق ويرجع
الى أهله ويفطر عندهم عشاءً . (ولقبه) رجل فسأله عن حديث فقال له "دعني فاني أبادر خروج
نفسي" . (وكان) سفيان الثوري إذا ذكر داود عظم أمره . (وقال) عبدالله بن المبارك وهل الأمر إلا ما كان
عليه داود .

(وكان يقول) سبقني العابدون وقطم بي وا لهفاه . (وقال) إنما شرع تعلم العلم ليعمل به الطالب
أولاً فأولاً ، فإذا قطم عمره في تحصيله فمتى يعمل . (وقال) علامة كمال الزهد في الدنيا ترك
مجالسة أهلها وعبادتهم إذا مرضوا إلا بنية خالصة عن العلق . (وكان) لايتجرأ أن يسأل الله الجنة
ويقول وددت أن أنجو من النار وأصير تراباً . (وقال) له رجل أوصني فقال عسكر الموت ينتظرك .
(وقال) له آخر أوصني ، قال "أقلك من معرفة الناس" قال زدني ، قال "إرض بالقليل من الدنيا مع
سلامة الدين كما رضي بها أهل الدنيا مع فساد الدين" . (وقال) إنما الليل والنهار مراحل ينزلها
الناس مرحلة مرحلة حتى ينتهي بهم ذلك الى آخر سفرهم ، فإب استطعت أن تتقدم في كل مرحلة
زاداً لما بين يديها فافعل فتزود لسفرك واقض ماأنت قاض فإنك بالأمر قد بغتك والسلام . (وقال)
لاتمهر الدنيا دينك فمن أمهرها دينه زفت اليه الندم . (وقال رجل) أريد تعلم الرمي ، فقال الرمي
حسن لكنها أيامك فانظر بما تقطعها . (وقال) إن كان لك بدينك حاجة ففر من الناس فرارك من
الأسد ، صغيرهم لايقرك وكبيرهم يحصي عليك عيوبك . (وقال) مسكين ابن آدم قطم الأحجار أهون

عليه من ترك الأوزار . (وقال) إصحب أهل التقوى فإنهم أيسر أهل الدنيا مؤنةً عليك وأكثرهم معونةً لك . (وقال) لسفيان الثوري رضي الله عنهما "إذا كنت تشرب الماء المبرد وتأكل اللذيذ المطيب وتمشي في الظل فمتى تحب الموت والقوم على الله؟" فبكى سفيان .
(وقال الغزالي قدس الله سره) دخل رجل على داود فقال له : ما حاجتك ؟ قال : جئت لزيارتك . قال : أما أنت فقد عملت خيراً حيث زرت ولكن انظر ماذا ينزل بي أنا إذا قيل لي من أنت فتزار أم الزهاد أنت لا والله أم الصالحين أنت لا والله . ثم أقبل يوبخ نفسه ويقول كنت في الشبيبة فاسقاً فلما كبرت صرت مرئياً والله للمرئى أشد من الفاسق .

(وقال) إني أستحيي من الله أن يراني أخطو خطوة التمس فيها راحة نفسي في الدنيا حتى يخرجني منها . (وقيل له) لو أصلحت سقف هذا البيت . قال "أما علمت أنهم كانوا يكرهون فضول النظر وقد كان في سقف مجاهد خشبة مكسورة لم يشعر بها مدة ستين سنة" . (ودخل) أحد أصحابه مع صديق له على داود رضي الله عنه وهو على التراب فقال لصاحبه هذا رجل زهد . فقال داود "إنما الزاهد من قدر فترك" . (وقال) ما خرج عبد من ذل المعاصي إلى عز التقوى إلا أغناه الله بلا مال وأعزه بلا عشيرة وأنسه بلا أنيس . (وقال) كل نفس ترد على همها فمهموم بخير ومهموم بشر . (وقال له رجل) دلني على رجل أجلس إليه . قال تلك ضالة لا توجد .

(وروي) يوماً بشاطيء الفرات واقفاً مبهوتاً ، فقيل له : ما يوقفك هنا ؟ قال : أنظر إلى الفلك تجري في البحر مسخرات بأمره .

(وكان) يقول ما تقول إلا على حسن الظن بالله لإستيلاء التفريط على الأبدان .

(وقال) حماد له رضي الله عنهما : يا أبا سليمان لقد رضيت من الدنيا باليسير . قال : أفلا أدلك على من رضي بأقل مما رضيت ، من رضي بالدنيا كلها عوضاً عن الآخرة .

(وقال) من خاف الوعيد قصر عليه البعيد ومن طال أمه ضعف عمله وكل أت قريب ولك ماشقك عن ربك فهو عليك مشؤوم . (وقال) إن أهل الدنيا جميعاً من أهل القبور وإنما يفرحون بما يقدمون ويندمون على ما يخلفون ، فما عليه أهل القبور ندموا ، أهل الدنيا يتقاتلون عليه ويتنافسون .

(وقيل له) ماتقول في رجل دخل على هؤلاء الأمراء فأمرهم بمعروف ونهاهم عن منكر ؟ قال : أخاف عليه سوء . قيل : إنه يقوى . قال : أخاف عليه السيف . قيل : إنه يقوى . قال : أخاف عليه الداء الدفيع العجيب .

(وكانت) النملة تدور في وجهه طولاً وعرضاً فلا يفتن لها من همم والتفكر . (وقال محمد بن الحسن)

كنت إذا جئت أسأله عن المسألة فإب وقم في قلبه أنها مما احتاجه في أمر ديني أجابني وإن وقع في قلبه أنها من مسائلنا هذه تبسم في وجهي وقال إن لنا شغلاً عن ذلك .

(وقيل له) بعدما إنقطع وانعزل كنت تلازم أبا حنيفة وصحبه ثم اعتزلتهم ، قال "إذا كنا دهرنا في جمع الآلات فمتى يكون البناء؟"

(وقال) إنما بغية الأكياس ملك لا زوال له وعيش لا موت فيه . (وقال) صم عن الدنيا وأطير على الموت إذا كان عند المعاينة أتاك خازن الجنان بشربة من ماء الجنة تشربها على فراشك فتخرج من الدنيا وأنت ريان وتنزل القبر وأنت ريان وتخرج منه وأنت ريان ويمكث الناس يترددون في ظلمة

القيامه جياً عطاشاً ماشاء الله وأنت ريان .

(وقال إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه) عزيتُ داود الطائي في أمِّ له ، فقلت له : أهلكَ الله الصبر والإحسان ووهب لك المغفرة والرحمة والهدى وأنا لله وأنا إليه راجعون . فقال : سبيك الناس كلهم الى الموت فمن أبغض الدنيا تبعتهُ ومن أحبها فلتتهُ ومن وثق بها خذلتها فباتت الدنيا فإنها أسحرُ من هاروت وماروت .

(وقال) لو أمّلتُ أن أعيش شهراً لرأيتني قد أتيت عظيماً وكيف أوّمل ذلك وأرى الفجائم تغشى الخلائف في ساعات الليل والنهار .
(وبلغهم) أنه ذُكر عند بعض الأمراء فأتى عليه ، قال "إنما نبتغي ستره بين خلقه ولو يعلم الناس بعض ما نحن فيه ماذللنا لسان بذكر خير أبداً" .
(وقال له) شعيب بن طلحة : أريد أن أشتري داراً بقربك ليكثر لقائي لك . فقال : إن مودةً يغيرها قلة اللقاء لمودةً مدخولة .

(وقال) ماتت امرأة بجواري ولم يكن لها كثير طاعة في الظاهر ، فرأيت في النوم كأن قائلًا يقول يا داود إطلع في قبرها فإطّلت فرأيت فيه نوراً عظيماً وفرشاً وطينةً وسرراً عالية ، فقلت يارب بماذا استوجبت هذه المنزلة . فنوديتُ ياد اود استانست بنا في سجدتها فأنسناها في وحدتها .
(وجاءه) بعض أصحابه بالفني درهم فقال داود : ياأبا سليمان هذا شيء جاءك الله به لم تطلبه وهو كما علمت حلالاً إنه لمن أمتك ماتأخذون . قال : فما يمنعك منه ؟ قال : لعل تركه ان يكون أنجى .
(وجاءه) الفضيل بن عياض يوماً فلم يفتح له وجلس خارج الباب وداود داخله يبكي . فقيل لمحمد بن بشر كيف لم يفتح له الباب ، قال قد كان يفتح لهم فكثروا عليه فغموه فحجبهم كلهم فمن جاء كلمه من وراء الباب .

(واحتجّم) يوماً فأعطى الحجّام أجرته ديناراً فقال الحجّام : هذا إسراف . فقال : لا عبادة لمن لا مروءة له .
(وقال) رأيت ولياً من أولياء الله تعالى فقلت : ماغاية بلوغ محبة الله من قلبك ؟ فقال : لو جعل حساب الخلائف كلهم معي لسرّني ذلك ورغبتُ فيه . فقلت : ولم ذاك ؟ قال : ياد اود وهل للعبد مقام أشرف من وقوفه بين يدي الله عز وجلّ وهو يشاهده ويخاطبه . والله العظيم إن ذلك عندي أشرف الدرجات .

(وقال) إياكم أن يتخذ أحدكم في داره أكثر من زاد الراكب الى البلاد البعيدة .
(ورأى) بعضهم في المنام كأن قائلًا يقول من يحضر من يحضر ؟ قال فأتيته فقال ماتريد قلت سمعتك تقول من يحضر من يحضر فأتيتك أسالك معنى كلامك ، فقال لي أما ترى القائم الذي يخطب على الناس ويخبرهم عن أعلى مراتب الأولياء فادركه فلعلك تلحقه وتسمع كلامه قبل إنصرافه ، فأتيته فإذا الناس حوله وهو يقول :

مانال عبد من الرحمن منزلةً أعلى من الشوق إن الشوق محمود
ثم سلّم ونزل فقلت لرجل الى جنبي من هذا ؟ قال أما تعرفه ؟ قلت لا . قال هذا داود الطائي فتعجبت من منامي ومما رأيت منه .
(وكان يقول) كفى باليقين زهداً وكفى بالعلم عبادة وكفى بالعبادة شغلاً . (وقالت له) مولاته :

ياسيدي أما تشتهي الخبز؟ فقال لها : بين مضمخ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية .
(وسبب مرض موته) أنه مرّ بأية فيها ذكر النار فكرها فأصبح مريضاً فدخل إخوانه وهو يبیت علی التراب وتمت رأسه لينة فلما مات خرج في جنازته ألوف حتى ذوات الخدور وحمل علی سریرین أو ثلاثة فبان السریر كان يتكسر من زحام الناس فيغير وصلی عليه مراراً عديدة .
(وقال محمد بن عيسى الوائي) رأيت الناس يأتون ثلاث ليال مخافة أن تفوتهم جنازة داود ورأيت الناس كلهم يبكون عليه ماشبهته الأبيوم الخروج .
(توفي) سنة اثنيتين وستين ومائة في السنة التي توفي فيها إبراهيم بن أدهم رضي الله عنهما . ولما وصلت جنازته الى القبر قال ابن داود السمّاك :

"ما عجب شأنك فإنك ألزمت نفسك الصمت حتى قويتها على العدل وأهنتها وإنما تريد كرامتها . وأدلتها وإنما تريد عزها ووضعتها وإنما تريد تشريفها وأتعبتها وإنما تريد راحتها . وأجعتها وإنما تريد شبعها وأظلماتها وإنما تريد ريها ، وخشنت الملبس وإنما تريد تليينه . وأمتت نفسك قبل أن تموت وقبرتها قبل أن تُقبر وعذبتها قبل أن تُعذب وغيبتها عن الناس لكي لا تُذكر . ورغبت بنفسك عن الدنيا فلم تر لها قدراً ولا خطراً ، وفقهت في دينك ثم تركت الناس جالساً . ما حسبت إلا قد اتبعت العابدين . فما أصغر ما بذلت وما أحقر ما تركت في جنب ما أملت وطلبت . أما أنت فقد ظفرت بروح العاجل وسعدت بعبادة الله عز وجل في الأجل . فلما شهد ربك والبسك رداء عملك لأنك لم تُش ماعملت في سرك فأظهر الله عز وجل اليوم ذلك . فلو رأيت اليوم كثرة من تبعك عرفت أن ربك سبحانه وتعالى قد أكرمك وشرّفك . فقل لعشيرتك اليوم تتكل بالسنتها فقد أظهر الله عز وجل اليوم فضلها . إن ربك سبحانه وتعالى لا يضيع مطيعها ولا ينسى صنيعها شكر لخلقها ما صنع هو بهم فيما أنعم عليهم من شكرهم إياه فسبحانه شاكراً ومجازياً ومثيباً .

(ولما) فرغ ابن السمّاك قام أبو بكر بن عياش على شفير القبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :
"يارب إن الناس قد قالوا مبلغ ما عندهم مما علموا اللهم اغفر له برحمتك ولا تكلفه إلى عمله"
فأعجب الناس مما قال أبو بكر .

(وقال) محارب بن دثار لو كان داود في الأمم الماضية لقص الله علينا شيئاً من خبره رضي الله عنه ، ثم تلقى سر هذه النسبة الشريفة عنه سيدنا معروف الكرخي رضي الله عنه .

سيدنا معروف الكرخي

رضي الله عنه

هذا السيد المولى من رجال السلسلة العلوية الأولى وبواسطته تلتقي بها هذه السلسلة وقد حصل لهذا السفر بركة ذكر جملة من مآثره غير مجملة فيما تقدم فلنصرف وجه القلم الى الكلام على رجال السلسلة الثالثة الصديقية الأعلام .

السلسلة الثالثة الصديقية للطريقة العلية النقشبندية (قدّس الله أسرار سراتها السنية)

تقرر في المقدمة أوله باعث إرجاء هذه السلسلة من انه لإتسام مجال الكلام على ترجمة أحوال رجالها السادة العظام بسبب كثرتهم وإتصالهم بهذه الأيام وتنظيماً لحسنها وتعظيماً لشأنها جوهرتها بذكر اسم جوهره كنز الثقلين وخلاصة الكونين كما صنعت ذلك في السلسلتين السابقتين (أول التعيينات عليه أشرف الصلوات وأكمل التسليمات) قدمت الآن موجب تكرار اسمه المرقم الشأن راجياً دعوة بركته الوفية وراغباً بذلك الى درج القصيدة في هذه الدرج محمدية تشتمل على مدحه والإستغاثة به والإلتجاء الى أبوابه والتحدّث برؤياه في حضرة مناميه :

لَمْ أمدحتَ محمداً بقصيدتي ولكن مدحتُ قصيدتي بمحمد

لعلي أن أشرف على خدمته وأنظم في سلك مدام رفيم عنبته . والوصول الى القبول مأمول من رحمة الرسول عليه من الصلوات أعمها والتسليمات أتمها ، فقلت :

إليك لعلي للمنى أتوصد
تجمك بالتفصيل ما هو مجمل
جميم الورى فى ظلّه تتظلك
عقول عن العلم اللدني تعقل
وبجر علوم لا يحد فيمقل
وفضلك عميم لا يقل فيبخل
عليه أتى يثنى الكتاب المنزل
مقاماً علياً لم ينله التخيل
الى الله إلا وهو عنه موكل
وأعظم بروم للفدا تتواصل
فوادي فوادي بالبلاء مبلبل
فماخاب من في بابسه يتذلل
رفعت اليه عرض حالي ويقبل
على غير خير الأنبياء لأعول
عظيم مقام في العلاء لا يملك
بتبويضها إستغفاره يتكفل
على العبد بالبشرى ونعم التفضل
بتقبيل نعل طاب منه المقبل
كحاضرة أو أدنى به تتجمل
ملائكة الرحمن تحمي وتحمل

الهي بجاه المصطفى أتوسل
بجاء رداء الكبرياء الذي به
حبيبك جار المستجير الذي غدا
رسول تعالي أن تحيط بوصفه
له معجزات لا تعد فتنتهي
وجاه عريض لا يرد مراده
وخلق عظيم لا نظير له كما
فسبحان من أسرى به وأناله
وما من رسول قبله جاء داعياً
فروحي روجي لإفتداء جلاله
وسرربي سرربي للنبي محمد
ودعني أقف ببابسه متذلاً
لعد رسول الله يقبلني إذا
ويصرف صرف الدهر عني فانني
ولسي أمل في فضله مثل ما له
وإن سواد العصيان وجه صحيفتي
نعم أنعم المختار من محض فضله
وشرف قدرى شرف الله قدره
بتقبيل نعل سدره المنتهي غدت
بتقبيل نعل الهاشمي الذي له

وحوّل عيّن ذلك الهوّل بالتّي
فاشكره شكراً يليق بفضله
وأحمّده مادمتُ حيّاً وكيف لا
وأستغفر الله اليه من الذي
صلاة صلاة الله ثم سلامه
مع الآل والأصحاب والتابعين من

تليق ولولا فضله لا يحوّل
واشكوله ما قلّ عنه التحمّل
وأحمدُ نعم المنعم المتفضّل
حملتُ من الوزر العظيم وأحملُ
عليه به منه اليه تنزّل
بدور الهدى من نورهم تتكّمّل

ثم سرى هذا السرّ وتحوّل من إمام الأمم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خليفته الأول ومن عليه في الدين والدنيا المعوّل سيد سادات الطريق الإمام أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

سيدنا الإمام أبو بكر الصديق رضي الله عنه

ماذا يقول أقل العبيد في تنويه من أنزل فيه من القرآن المجيد قوله (وسيجنبها الأتقى الذي يوتي ماله يتركى وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى) . وقوله تعالى (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى) . وقوله تعالى (ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا) . ولما نزل قوله تعالى (ولم يخاف مقام ربه جنتان) . وقوله تعالى (ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً) . ولما نزل قوله تعالى (إن الله وملائكته يصلون على النبي) قال رضي الله عنه يارسول ما نزل عليك خيراً إلا أشركنا فيه فنزل (هو الذي يصلّي عليك وملائكته) وقوله تعالى (وشاورهم في الأمر) وفي عمر رضي الله عنه عنهما . وقوله تعالى (نزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً) فيه وفي عمر رضي الله عنهم الى غير ذلك .

وورود شأنه من الأحاديث الشريفة قوله صلى الله عليه وسلم : "ماطلعت شمس ولا غربت على أحد أفضل من أبي بكر إلا أن يكون نبياً" . وقوله صلى الله عليه وسلم : "حب أبي بكر وشكره واجب على أمتي" . وقوله صلى الله عليه وسلم : "أرحم أمتي بأمتي أبو بكر" . وقوله صلى الله عليه وسلم : "إن روم القدس جبريل أخبرني إن خير أمتك بعدك أبو بكر" . وقوله صلى الله عليه وسلم : "الله يكره في السماء أن يخطيء أبو بكر في الأرض" . وقوله صلى الله عليه وسلم : "ما لأحد عندنا يداً إلا كافأناه إلا أبا بكر ، فإن له عندنا يداً يكافئه الله بها يوم القيامة ومانفعي ما أحد قط مانفعي ما أبي بكر" . وقوله صلى الله عليه وسلم : "إن من أمت الناس عليّ في صحبته وماله أبو بكر ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربيّ لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن إخوة الإسلام" . ومثل ذلك مما ملئت منه كتب الحديث والآثار .

(وهو رضي الله عنه) أول من أسلم وأول من سُمّي خليفة وأول من جمع القرآن وأول من سمّاه مصحفاً وأول خليفة فرض له رعيته العطاء وأول من اتخذ بيت المال وأول من لقب في الإسلام بالعتيق وأول من نافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأول من أنفق أمواله الجمّاء الغفير من المسلمين عليه صلى الله عليه وسلم ، وأول من وليّ الخلافة وأبوه حيّ وأول من عهد بها ، وأول من تسمّى بالصديق وأول خليفة ورثه أبوه . وهو ثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإسلام وثانيه في الهجرة وثانيه في الغار وثانيه في العرش وثانيه في القبر .

وله رضي الله عنه في الإسلام المواقف العالية وعلى الأمة المحمدية الأيادي المتواليمة منها : قصة صبيحة يوم الإسراء وثباته وجوابه الكفار في ذلك . وهجرته مع النبي صلى الله عليه وسلم تاركاً المال والعيال والأطفال . وفداؤه بنفسه في الغار ، ثم كلامه يوم بدرٍ والحديبية . وثباته حين اشتبه الأمر على غيره ، ففي تأخير دخوله مكة ثم فهمه وبكاؤه بشدة حينما قال المصطفى صلى الله عليه وسلم "إن عبداً خير له بين الدنيا والآخرة فإختار ما عنده" . ثم ثباته عند المصيبة العظمى بانتقال رسول الله صلى الله عليه وسلم التي خرسَ عندها فحول الرجال . ولذلك قال بعض أهل الكمال إنه أشجع الصحابة في الأقوال والأفعال . وقتاله لأهل الردّة وبعث جيش أسامة في تلك الشدة وقتله مسيلمة الكذاب . وإستخلافه عمر بن

الخطاب . وكم له رضي الله عنه من مواقف وأثر ومناقب لاتحصى ولا تحصر .

(وكان) يقال له الأواه لشدة رأفته وكمال تقواه ، فأعظم به من رفيق صديق توحد في الأحوال بالتحقيق مختار الإختيار من دعاه الى أقوم طريق حتى صار للمحنة هدفاً وللبلاء غرضاً ، وزهد فيما عدا له من جواهر وعرضاً . تفرّد بالحق عن الالتفات للخلق حتى جمع بين الجمع والفرد . وقد قيل (التصوّف) الإعتصام بالحقائق عند تباين الطرائق ، وقيل أحوال قاهرة وأخلاق طاهرة وحقائق ظاهرة .

(وأكرم) بسماعه مناجاة جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن لم يره وإرسال السلام من الحق تعالى له مع جبريل عليه السلام وقول الله تعالى على لسان جبريل "هل أنت راضٍ عني بفقرك" واختصاصه باسم الصحة والمعية الخاصة . (وكان رضي الله عنه) يتوصل بعد الوفا الى أربع مواقف الصفا وقد قيل (التصوّف) تفرّد العبد بالواحد الصمد الفرد .

(وكان) من أخلاقه الكاملة وأحواله الشريفة الفاضلة العزوف عن العاجلة للأزوف من الأجلة ، وقد قيل (التصوّف) تطليق الدنيا بتاتاً والإعراض عن منالها ثباتاً . استسقى يوماً فأتي بإناء فيه ماء فغسل فبكى وأبكى من حوله فسكت وسكتوا ، ثم عاد فبكى حتى علا النحيب وتواجد البعيد والقريب ثم أفات من غشيته ومسم وجهه ببردته ، فقالوا : ماهاجك على ذلك حتى ظنك كل منا أنه هالك ؟ قال : كنت مع المصطفى صلى الله عليه وسلم فجعل يدفع عنه شيئاً ويقول إليك عني إليك عني ولم أر معه أحداً ، فسألته فقال "هذه الدنيا تمثّلت لي بما فيها فزجرتها فتنحت وقاتل أما والله لأن إنفلت مني لاينفلت مني من بعدك" فخشيت أن تكون لحقتني فذلك الذي أبكاني .

(وكان) لايفارق الجد ولايجاور الحد وقد قيل (التصوّف) الجد في السلوك الى ملك الملوك . وكان يقدم على المضار لما يؤمل من المسار وقد قيل (التصوّف) السكون الى اللهيبي في الحنين الى الحبيب . وكان يقدم الحقيير معتاضاً للخطير وقد قيل (التصوّف) وقف الهمم على مولى النعم . أتى المصطفى صلى الله عليه وسلم بصدقته فأخفاها وقال هذه صدقتي ولله عندي معاد . وجاء عمر رضي الله عنه بصدقته فأفشاها وقال لي عند الله معاد . فقال المصطفى صلى الله عليه وسلم ياعمر وترتت قوسك بغير وتر ما بين صدقتي كما بين كلمتيكما .

(وكان) في المصافاة صافياً وفي الموافاة وافيأ ، وقد قيل (التصوّف) استنفاذ الطوق في معاناة الشوق وترجئة الأمور على تصفية الصدور . (وكان رضي الله عنه) أكرم الناس رأياً وأعلمهم بتعبير الرؤيا وأكمل الصحابة عقلاً وأكثرهم صواباً قولاً وفعلاً . وكناه شرفاً وفضلاً قول إمام المرسلين : "إن الله يكره فوق سمائه أن يخطيء أبو بكر الصديق" .

وكان أعلم الناس به وأخوفهم له حتى كان يخرج من جوفه ربح الكبد المشوية . وكان يحتاط في مأكله ومشربه أشد احتياط وإذا أكل أو شرب ما فيه شبهة ثم علمه استقاء بإفراط . شرب لبناً من كسب عبده ثم سأل ، فقال تكنت لقوم فأعطوني فأدخل اصبعه في فيه وتقياً حتى ظن أن نفسه ستخرج ، ثم قال اللهم اني أعتذر إليك مما حملت العروق وخالط الأمعاء . (قال في الأحياء) كان يطوي ستة أيام وكان يأخذ بطرف لسانه ويقول هذا أورد بي الموارد .

(ومن كلامه رضي الله عنه) لاخير في قول لايراد به وجه الله تعالى ولا في مال لاينفق منه في سبيل الله تعالى ولا فيمّن يغلب جملة حلمه ولا فيمّن يخاف في الله لومة لائم . (ومنه) إذا دخل

العبد العُجَب بشيءٍ من زينة الدنيا مَقْتَهُ الله حتى يفارق تلك الزينة . (ومنه) وجدنا الكرم في التقوى والغنى في اليقين والشرف في التواضع . (ومنه) مَنْ ذاق من خالص المعرفة شيئاً شغله ذلك عمّا سوى الله واستوحش من جميع البشر . (ومنه) مَنْ مَقَتَ نفسه في ذات الله أمنهُ الله من مقتته . (ومنه) إِيَّاكُمْ والفخر وما فخر مَنْ خُلِقَ من تراب ثم يعود إليه ثم يأكله الدود . (ومنه) لاخير في خير بعده النار ولا شرّ في شرّ بعده الجنة .

(ودخل) رضي الله عنه حائطاً فإذا بطير في ظل شجرة فتنفّس الصعداء وقال "طوبى لك يا طير تاكل وتستظلُّ بالشجر وتصير الى غير حساب ياليت أبا بكر مثلك" .

(وكان رضي الله عنه) إذا مُدِمَّ قال اللهم أنت أعلم مِنِّي بنفسي وأنا أعلمُ بنفسي منهم فاجعلني خيراً مما يظنون واغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون .

(وكان) رضي الله عنه إذا قام الى الصلاة كأنه عود مقطوع لما يعتره من الخشوع .

(وقال رضي الله عنه) وددتُ أني شجرة تُؤْكَل وتعضد ، ولما مرضت قيل الأ ندعو لك طبيباً ؟ قال قد رأي ، قالوا ما قال لك ؟ قال "قال لي إني فعّال لما أريد" . ثم دعا عمر رضي الله عنه فوعظه حتى أبكاه ، ثم قال إن حفظت وصيتي فلايكُ غائب أحبُّ إليك من الموت وهو أتيك وإن أنت ضيّعتها فلايكُ غائب أبغضُ إليك منه ولست بمعجزه . ثم قال لمن حضر أوصيكم بالله لفقركم وفاقتكم تتقوه وأن تثنوا عليه بما هو أهلُّه وأن تستغفروه إنه كان غفّاراً والسلام .

(توفي) بين المغرب والعشاء ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة عن ثلاث وستين سنة على الأصح . وفي "تاريخ ابن عساكر" عن الأصمعي قال : قال خفاف بن ندبة السلمي يبكي أبا بكر شعراً ويندبه :

وكلّ دنيا أمرها للفنا
عارية فالشرط فيه الأدا
تندبه العين ونار الصدا
يشكوه سقم ليس فيه شفا
لم تزرع الجوزاء بقللاً بما
ذو منزر رنّاش ولا ذو ردا
مجتهداً شدّاً بارضِ فضا

ليس لحبي فاعلمنه بقا
والملك في الأقوام مستودع
والمرء يسمى ولهم راصد
يهوم أو يقتل أو يقتهره
إن أبا بكر هو السفيث إن
تالله لا يدرك أيامه
من يسم كي يدرك أيامه

وقد أشبع الجلال السيوطي رحمه الله تعالى الكلام على ترجمته مفصلاً في كتابه "تاريخ الخلفاء" فمن أحبّ الزيادة فليرجع اليه . ولما بلغ بي اليرام الى هذا المكان غاص في بحر محبته وصاغ هذه القصيدة في خدمة مدحته رضوان الله عليه :

وطالعهُ جلالاً فسي جلال
ولم يدروا حراماً من حلال
ومرّقت بالهدى برد الضلال
شفيهم الكلّ في يوم السؤال
وبالإحسان حسنت كل حال

تجلّى في السموات الكمال
وقد ضلّ الورى في ليل كفر
فأشقرت العوالم من سنائه
ختم الرسل خير الخلق طه
فبإيمان أهدى كل هدى

ونال به الصحابة كل فضل
دعاهم للهداية فاستجابوا
وحنوا إذ حنوا قلباً عليه
فما يقضيه يمضيه تعالى
فمنهم بالشرية ذو انصاف
ومنهم من له قدم عظيم
وذلك هو أعلاهم مقاماً
أبو بكر خليفة المهدي
هو الصديق من نال الأمان
إمام الكل أول من تصدى
وثبت جاشه وحما حماه
وأدنى في فداه كل عال
فكم أفنى صياماً من نهار
وفادى من أسير ورقيق
وأوقم فيه أهل الشرك شراً
فقابل كل مكروه بما لا
وناضل عن رسول الله يعدو
وهاجر وهو ثاني اثنين معه
وقام بنصره لم يأل جهداً
يكف شرور أهل الكفر عنه
وشاد دعائم الإسلام
فاخمد بالخلافة نار خلف
وثقف بالمدى رمحاً محلي
وجرد من سيوف الله سيفاً
رقاب المشركين له قراب
كان ذبابه بالفتك فيهم
سقى الله حساماً ماهام شوقاً
كان ظباه صبب الأعادي
لسطوته الملوك الصيد القوا
وكم ملؤا إذا ذكروه رعباً
وكم هجروا المضاجع باضطراب
فدمر كل مرتد وأخياً
وألقى الأسود العنسي يقفو
وأنفذ نحو أرض الشام جيشاً
فشئت شمل قيصر وهو ماهو
وصال بعزم الله شرقاً

وفضل المصطفى بحر النوال
دعاه باحتفاء وإحتفال
الى شرف المعارف والمعالي
ويفضي للتقدم والتعالي
ومنهم بالحقيقة ذو إتصال
من الأمرين فوق الكل عال
وأعلمهم بحال أو مقال
وبعد الأنبياء خير الرجال
بصدق ، والمنى صعب المنال
لتصديق النبي بكل قال
ومال اليه ينفق كل مال
من الدنيا وأرخص كل عال
وكم أحيا قياماً من ليال
لوجه الله كالمولى بلال
تدك له الجبال فلم يبال
يطاق من الرضا والإحتمال
على أمداً حقه النضال
ولم تخطر الدنيا له ببال
ببيض الهند والسمير الطوال
ويدفع باليمين والشمال
دعي خير الوري للإنتقال
وأرضى الكل من صحب وأه
بحلي كمال وإعتدال
تجرد عن خلاف الإمتثال
ورشق دمائم ماء الصقال
رضيم لم يروم بالفصال
الى هام العدا بالإغتيال
ظباء فهي في شغف الوصال
مقاليد البلاد بلا قتال
فكيف إذا دعاهم للنزال
مخافة أن يروه في خيال
زكاة المال حتى من عقال
مسيلمة الى أشقى مال
تولاه أسامة بارتجال
وأجأه الى ضيق المجال
وغرباً غير مقلول النضال

فأيدّ دولة الإسلام منه
وقلّد جيد كك محمدٍ
أيادي قد جرت بحراً محيطاً
أيادي لا يكافؤها شكوراً
وأوصى بالخلافة بعد هذا
محبّته على العقلاء فرض
فطوبى للأولي طابت لديهم
وويل للأولي إنتحلوا عليه
وكيف يصوغ أن يُصغى إلى
وإنّ الله في القرأت أثنى
وبالحبّ الحقيقي زاد قُرباً
وبالذكر الخفيّ لقد تملّى
ولولاه لصار الناس فوضى
جزاه الله عنّا كلّ خيرٍ
ومكّن جنده من مَبِفضيه
ورضوان من الله تعالي
وصلّى بالسّلام على نبي

بأيدي لا تميلك إلى الملال
أيادي أثقلت ظهر الجبال
فكيف تُقاس بالسحب الثقال
عن الإسلام الآذو الجلال
إلى الفاروق حفظاً للمال
تُنال به النجاة من الوبال
موارد ودم الصفا في الزلال
فما أولاهم بالإنتحال
ماحكي فنة الفناء من المحال
عليه بما تلاء كلّ تال
تحامته الملائكة العوالي
من العلم اللدنّي الأمالي
وأحكام الشريعة في إختلال
يؤدي حقّ هاتيك الفعّال
بصمّ النعمال على القذال
عليه إليه منه بلا إنفصال
تجلّى في سموات الكمال

ثم تلقى سرّ هذه النسبة الشريفة منه سيدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه .

سيدنا سلمان الفارسي

رضي الله عنه

الإمام علم الأعلام وابن الإسلام ، الحاكم الحكيم والعالم العليم ، أحد الرفقاء والنجباء ، ومن إليه تشتاق الجنة من الغرباء . ثبت على القلّة والشدائد لما نال من الصلّة والعوائد . (وقد قيل) التصوّف مقاساة القلق في مراعاة العلق .

(أصله) من قرية من فرس أصفهان من ديار العجم وكان مجوسياً وقد سافر الى أرض الشام وصحب بها رهبان النصارى سنيماً عديدة ، ثم سافر الى الروم ووصل الى عمورية وهي بروسه وصحب رهبانها فأخبروه بقرب عهد النبي صلى الله عليه وسلم . فسافر يطلب الدين مع قومه فغدروا به فباعوه لبني قريظة من اليهود . أسلم عند قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة . ثم كوتب فآدى عنه صلى الله عليه وسلم كتابته وأعتقه . وهو عظيم المناقب ولو لم يكن من مناقبه إلا قوله صلى الله عليه وسلم "السباق أربعة" وعدّه منهم ، وقوله صلى الله عليه وسلم "سلمان منا أهل البيت" وقوله "إنه أحد الذين تشتاق إليهم الجنة" وقوله "إن الله يحب من أصحابي أربعة" وذكره منهم .

(وكان) من أكابر الزهّاد وتزوج امرأة من كندة فدخل بيّتها فوجده منجداً ، فقال "أمحموم بيّتكم أم تحولت الكعبة الى كندة ، أوصاني خليلي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يكون متاعي من الدنيا إلا كزاد الراكب" فلم يدخل حتى نزم كل ستر في البيت .

(وسئل) عنه علي كرم الله وجهه فقال : "أدرك العلم الأوّل والأخر بحر لا ينزف" . (ونزل) هو وحذيفة على نبطية فالتمس منها مكاناً يصلّي فيه فقال "طهر قلبك وصلّ حيث شئت" فبكى وقال لحذيفة "خذها حكمة من قلب كافر" .

(وكان) إذا جنّ الليل صلى فإذا أعياناً ذكر الله بلسانه فإذا أعياناً تفكّر في آيات الله وعظمته ثم يقول لنفسه "استرحت فقومي!" فإذا صلى زماناً قال للسان "استرحت فأذكر!" وهكذا طوال الليل . (وكان) عطاؤه خمسة آلاف درهم وكان أميراً بالمدائن على زهاء ثلاثين ألفاً ومع ذلك يخطب الناس في عباءة يفترش بعضها ويلبس بعضها ، ولم يكن له بيت يظله وإنما يدور مع الظلّ حيث دار .

(وكان) إذا خرج عطاؤه فرقه ولا يأكل إلا من كد يده في عمل الخوص . (وكان) يجمع ما عمله بيده فيشتري به لحماً وسمكاً ويدعو المجذومين فيأكلون معه . (وكان) غالب الناس يسخرونه في حمل متاعهم وهو أمير لعدم معرفتهم به ولرثائه حاله فربما عرفوه فيريدون يحملون عنه فيقول لا حتى أوصلكم الى المنزل .

(وكان) يعمل الخوص ويقول أشترى خوصاً بدرهم فأعمله فأبيعه بثلاثة دراهم فأعيد درهماً فيه وأنفق درهماً على عيالي وأتصدّق بدرهم . (وكان) لا يأكل من صدقات الناس .

(وقال) له بعض غلمانهم كاتبني فقال : لك شيء ؟ قال : لا . قال : فمت أين تؤدي . قال : أسأل الناس . قال : أتريد أن تطعمني غسالة الناس .

(وهو) سابق الفرس وبلال سابق الحبشة .

(وأصاب) جارية فارسية فقال لها : صلِّاً فقالت : لا . فقال : فاسجدي واحدة . قالت : لا . فقيل له ما تُغني سجدة واحدة . فقال : لو سجدتُ صلَّت وليس من له سهم في الإسلام كمن لا سهم له .
(وأرسل) أبا الدرداء يخطبُ له امرأة فذكر لأهلها فضله وسابقتها ، فقالوا "أما سلمان فلا نزوجه لكن نزوجه" فتزوجها فخرج . فقال له : قد كان شيء أستحي أن أذكره لك . قال : ماذا ؟ قال : فأخبره بما جرى ، فقال لأبي الدرداء : أنا أحقُّ أن أستحي منك أن أخطبها وقد كان الله قضاها لك .
(وتفاخرت) قريش عنده يوماً فقال : "لكني خلقتُ من نُطفة مذرة ثم أعود جيفة منتنة الى الميزان فإن ثقل ميزاني فانا كريم وإن خفَّ فانا لنيم" . (وخطب عمر رضي الله عنه) فقال : أنصتوا حتى أسمعكم . فقال سلمان : والله لا نسمعك . فقال : لم ؟ قال : لأنك تفضل نفسك على رعيتك . قال : كيف ؟ قال : عليك ثوبان وعلى الحاضرين ثوب واحد . فقال : مهلاً ياأبا عبدالله .
ثم نادى يا عبدالله فلم يجبه أحد فقال "يا عبدالله بن عمر" ، قال لبيك فقال له : أنشدك الله أما تعلم أن هذا الثوب الثاني ثوبك ؟ قال عبد الله : اللهم نعم .
فقال سلمان : الآن نسمع لك ونطيم .

(ودخل) عليه أبو قلابة حال إمارته فوجده يعجب فقال ما هذا ؟ قال : بعثت الخادم في عمل فكرهت أن أجمع عليه عملي . (ودخل) رجلان في حصن بناحية المدائن وهو أميرها فسألما ثم قالا : أنت سلمان ؟ قال : نعم . قالا : أنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : لأدري . فارتابا وقالا لعله غير الذي نريد . فقال : أنا الذي تريدان رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجالسته ، وإنما صاحبه من يدخل معه الجنة .

(ودخل) على مريض يعوده وهو في النزم فقال : "أيها الملك ارفقاً به" فقال المريض إنه يقول بكل مؤمن رفيق . (وكتب) إليه أبو الدرداء أن هلم إلى الأرض المقدسة . فكتب إليه إن الأرض لا تقدس أحداً وإنما يقدس المرء عمله وقد بلغني أنك جعلت طبيباً فإن كنت تبرأ فنعماً لك وإن كنت متطبباً فأحذر أن تقتل إنساناً فتدخل النار . فكان أبو الدرداء إذا قضى بين إثنتين فأدبر فنظر إليهما وقال : "متطبب والله أرجعاً الي أعيدا قصتيكما" . (ودخل) على أبي الدرداء في يوم جمعة فقيل هو نائم ، فقال ماله ؟ قال إنه يحيي ليلة الجمعة ويصوم نهارها ، فأمرهم فصنعوا طعاماً ثم قال له كُ ، فقال إني صائم فلم يزل به حتى أكل ثم أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرا ذلك له ، فقال صلى الله عليه وسلم : "عويمر ، سلمان أعلم منك ثلاث مرات - وهو يضرب بيده على فخذ أبي الدرداء - لا تخص ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي ولا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام" .

(ولما بنى على أهله) قال لها بعدما مسح بناصيتها ودعا بالبركة : "إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصاني إذا اجتمعت مع أهلي أن أجمع على طاعة الله" فقام وقامت إلى المسجد فصليا ما بدا لهما ثم خرج فقضى حاجته .

(ومن كراماته) أنه خرج من المدائن ومعه ضيف وإذا بظباء تسير في الصحراء وطيور في الهواء فقال لياتني منك طيرٌ وظبي فقد جاءني ضيفٌ أحبُّ إكرامه فاتياه فقال الرجل سبحان الله . فقال له سلمان "تعجب ، هل رأيت عبداً أطام الله فعصاه شيء" . (وروى) الحافظ أبو نعيم قدس الله روحه عن الحارث بن عمير قال : "انطلقت فاتيت المدائن فإذا أنا برجلٍ عليه ثيابٌ رثة ومعه أديم أحمر يعركه فالتفت فرأني

فقال مكانك يا عبد الله ، فقلت لمن كان عندي من هذا الرجل ؟ فقال سلمان . فدخل بيته فلبس ثياباً بيضاً ثم أقبل وأخذ بيدي وصافحني وسألني . فقلت يا أبا عبد الله ما رأيتني فيما مضى ولا رأيتك ولا عرفتني ولا عرفتك . فقال بلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الأرواح جنودٌ مجنّدةٌ فما تعارف منها ائتلفت وما تناكر منها اختلفت .

(ومن كلامه) العلم كثير والعمر قصير فخذ ما تحتاجه لدين ودع ما سواه . (وقال) إنما تهلك هذه الأمة قبيل نقض موثيقها . (وقال) مثل القلب والجسد مثل أعمى ومقعّد ، قال المقعد أرى ثمرة فلا أستطيع أن أقوم إليها فأحملني فحمله فأكله وأطعمه . (وقال) لا تكونن إن استطعت أول من يدخل السوق ولا آخر من يخرج منها فإنها معركة الشيطان وبها ينصب رايته . أخرجه مسلم . (وقال) له عبد الله بن سلام إن ميت قبلي فأخبرني ما تلقى وإن ميت قبلك أخبرك . فمات سلمان قبله فأراه فقال كيف أنت ؟ قال بخير ، قال أي الأعمال وجدت أنفع ؟ قال وجدت التوكّل شيئاً عجيباً . وفي رواية عليك بالتوكّل نعم الشيء التوكّل . (وقال) إنما مثل المؤمن في الدنيا كمثل مريض معه طبيب الذي يعلم داءه ودواءه فإذا اشتهى ما يضره منعه وقال لا تقربه فإنك إن أتيتهم أهلَكَ ولا يزال يمنعه حتى يبرأ من وجعه ، وكذلك المؤمن يشتهي أشياء كثيرة فيمنعه الله عزّ وجلّ ويحجزه حتى يتوفاه فيدخله الجنة . (وقال) ثلاث أعجبتني حتى ضحكت : مؤمّل الدنيا والموت يطلبه ، وغافل وليس بمغفول عنه ، وضاحك ملء فيه ولا يعلم أساخط عليه رب العالمين أم راض ، وثلاث أجزتني حتى بكيت : فراق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهول المظلم ، والوقوف بين يدي ربي عزّ وجلّ لأدري إلى الجنة أم إلى النار .

(وقيل له) وقد اشتري وسقاً من طعام يا أبا عبد الله تفعل هذا وأنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال إن النفس إذا أحرزت قوتها إطمأنت وفرغت لعبادة الله عزّ وجلّ وينسب منها الوسواس . (وعن) عطية بن عامر قال رأيت سلمان رضي الله عنه أكره على طعام فقال حسبي حسبي فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "أكثر الناس شعباً في الدنيا أطولهم جوعاً في الآخرة يا سلمان إنما الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر" . (وروى أبو الفرج رحمه الله) بسند إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال : "حدثني سلمان الفارسي رضي الله عنه قال : كنت فارسياً من قرية من قرى أصفهان تسمى (جي) وكان أبي دهقان قريته وكنت أحب خلق الله إليه فلم يزل حبه إياي حتى حبسني في بيته كما تحبس الجارية واجتهدت في المجوسية وكانت لأبي ضيعة عظيمة يشتغل في شأن له يوماً فأمرني أن أذهب إلى ضيعته وأوصاني ببعض ما يريد . فخرجت أريد ضيعته فمررت بكنيسة من كنائس النصراني فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون وكنت لأدري ما أمر الناس لأنني محبوب في البيت . فدخلت عليهم أنظر ما يصنعون فلما رأيتهم أعجبتني صلاتهم ورغبت في أمرهم وقلت هذا والله خير من الذي نحن فيه . فوالله ما تركتهم حتى غربت الشمس وتركت ضيعة أبي فلم أتها وقلت لهم أين أصل هذا الدين ؟ قالوا بالشام . فرجعت إلى أبي وقد بعث في طلبي وشغلته عن عمله فلما جنته قال : إي بني أين كنت ، ألم أكن عهدت إليك ما عهدت ؟ قلت : يا أبت مررت بأناس يصلون في كنيسة فأعجبني ما رأيت من دينهم فوالله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس . قال : إي بني ليس في ذلك الدين خير ، دينك ودين آبائك خير منه . قلت : كلا والله إنه خير من ديننا .

فخافني فجعل في رجلي قيدياً ثم حبسني في بيته وبعثت إلى النصارى أنه إذا قدم عليكم تجاراً من نصارى الشام فأخبروني بهم . فقدم عليهم ركب من الشام فأخبروني بهم . فلما ساروا سرت معهم حتى قدمت الشام ، فسألت من أفضل هذا الدين قالوا الأسقف في الكنيسة فجننته فقلت إني أحببت أن أخدمك في كنيسةك وأتعلم منك وأصلي معك ، قال فادخل فدخلت معه . وكان رجلاً سوء يأمرهم بالصدقة ويرغب فيها فإذا جمعوا إليه منها شيئاً إكتنزه لنفسه ولم يعطه المساكين فأبغضته بغضاً شديداً لما رأيته يصنع . ثم مات فاجتمعت إليه النصارى ليدفنوه فقلت لهم إن هذا رجل سوء وأخبرتهم بخبره قالوا وما علمك بذلك ؟ فأريتهم موضع كنزه فاستخرجوا منه سبعم قلالاً مملوءة ذهباً وورقاً . فلما رأوها قالوا والله لاندفنه أبداً وصلبوه ثم رموه بالحجارة . ثم جاؤوا بأخر فجعلوه مكانه فما رأيته رجلاً أفضل منه صلاةً وزهداً في الدنيا ورغبةً في الآخرة ودأباً ليلياً ونهاراً على عبادته . فأحبيته كثيراً وأقمت عنده زمناً ثم حضرته الوفاة فقلت له إني كنت معك وأحبيتك حباً عظيماً وقد حضرك ماترى من أمر الله تعالى فإلى من توصي بي وماتأمرني ؟ قال إني بني والله ما أعلم اليوم أحداً على ما كنت عليه ، لقد هلك الناس وبدلوا وتركوا أكثر ماأمروا به إلا رجلاً بالموصل هو فلان وهو على ما كنت عليه فالحق به . فلما مات وغيب لحقت بصاحب الموصل فأخبرته بالوصية فقال لي أقم عندي . فأقمت عنده فوجدته خير رجل على أمر صاحبه ، فلم يلبث أن حضرته الوفاة فقلت له إن فلاناً أوصاني إليك أمرني باللحوق بك وقد دنا أهلك فإلى من توصي بي وماتأمرني ؟ قال إني بني والله ما أعلم أحداً على مثل ما كنت عليه إلا رجلاً بنصيبين هو فلان فالحق به . فلما مات لحقت بصاحب نصيبين فآخبرته خبري قال فأقم عندي فأقمت عنده . فوجدته على أمر صاحبيه خير رجل فوالله مالبث أن حضرته الوفاة ، فقلت له كما قلت للأول والثاني . قال إني بني والله ما أعلم أحداً بقي على أمرنا أن تأتيه إلا رجلاً بعمورية (هي مدينة بروسة) فإن أحببت فأنت ؟ فلما مات ووري لحقت بصاحب عمورية فذكرت له أمري قال فأقم عندي ، فأقمت عند رجل على عهد أصحابه فإكتسبت حتى كانت لي بقرات وغنيمة ، ثم حل به أمر الله تعالى عز وجل . فلما احتضر قلت له مقالتي المتقدمة ، قال إني بني والله ما أعلم أصبح على ماكننا عليه أحد من الناس أمرك أن تأتيه ولكنه قد أظلك زمان نبي هو مبعوث بدين إبراهيم يخرج بأرض العرب مهاجر إلى بين حرمين بينهما نخل به علامات لاتخفى يأكل الهدية لا الصدقة وبين كتفيه خاتم النبوة ، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل . ثم مات فدفنناه ومكثت بعمورية ماشاء الله أن أمكث ، ثم مر بي رجال من كلب تجار فقلت لهم تحملوني إلى أرض العرب وأعطيكم بقراتي وغنيمتي هذه فقالوا نعم . فأعطيتهم إياها وحملوني . فلما قدموا بي وادي القرى ظلموني فباعوني من رجل من اليهود عبداً . فكنت عنده ورأيت النخل فرجوت أن يكون البلد الذي وصف لي صاحبي . ولم تحزن نفسي فبينما أنا عنده إذ قدم عليه ابن عم له من المدينة من بني قريظة فإبتاعني منه فأحتملني إلى المدينة . فوالله ما هو إلا أن رأيته فعرفتها بصفة صاحبي فأقمت بها وبعث الله تعالى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأقام بمكة ماأقام ولا أسمع له بذكر مما أنا فيه من شغل الرقب . ثم هاجر إلى المدينة فوالله إني لفي رأس عذق لسيدي أعمل فيه بعض العمل وسيدي جالس إذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه فقال فلان : قاتل الله بني قيلة (يعني الأوس والخزرج) الآن والله إنهم لمجتمعون

بقبَاء على رجل قدم عليهم من مكة اليوم يزعم أنه نبي .
فلما سمعتها أخذتني العرواء وظننتُ كاني ساقط على سيدي ونزلت عن النخلة فجعلت أقول لإبن عمه : ماذا تقول ؟ فغضب سيدي ولكمني لكمةً وقال : مالكَ ولهذا أقبل على عملك . قلت : لاشيء إنما أردتُ أن أستثبته عما قال .

وكان عندي شيء قد جمعته فلما أمسيت ذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بقبَاء . فدخلتُ عليه فقلتُ قد بلغني أنك رجلٌ صالح ومعه أصحاب لك غرباء ذوو حاجة وهذا شيء كان عندي للصدقة فرأيتكم أحقَّ به من غيركم وقربتهُ إليه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه كلوا ومسك يده فلم يأكل . فقلتُ في نفسي هذه واحدة . ثم إنصرفت عنه فجمعتُ شيئاً وقد تحوّل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فجنّتهُ به قلتُ : اني رأيتك لاتأكل الصدقة وهذه هدية أكرمتك بها . فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها وأمر أصحابه فاكلوا معه فقلتُ في نفسي هاتان اثنتان . ثم جنّتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ببقيع الغرقد وقد تبع جنازة مع أصحاب له عليه شملتان وهو جالس في أصحابه . فسلمتُ عليه ثم استدرت أنظر الى ظهره هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي . فلما رأني صلى الله عليه وسلم استديرته عرف أني أستثبت في شيء ووصف لي . فألقى رداءه عن ظهره فنظرتُ الى الخاتم فانكبتُ عليه أقبله وأبكي ، فقال لي تحوّل . فتحوّلتُ فقصصتُ عليه حديثي كما حدّثتك يا ابن عباس . فأعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسمع أصحابه ثم شغلني الرّق حتى فاتني معه بدر وأحد . ثم قال صلى الله عليه وسلم ياسلمان كاتب . فكاتبتُ صاحبي على ثلاثمائة نخلة أخببها له بالقفيز - يعني البئر - وباربعين أوقية قال لأصحابه أعيونا أياكم فأعانوني بالنخل الرجل بثلاثين ودية والرجل بعشرين والرجل بخمسة عشر والرجل بعشرة ، يعينني الرجل بقدر ما عنده حتى اجتمعت لي ثلاثمائة ودية . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب ياسلمان فقفرُ فإذا فرغت أكون أنا الذي أضعها بيدي . فقفرّت لها وأعانني أصحابي حتى إذا فرغت منها فجنّتهُ فأخبرتهُ فخرج صلى الله عليه وسلم معي إليهما . فجعلنا نقرب الودي ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضعه بيده . فوالذي نفس سلمان بيده ماماتت منها ودية واحدة وأديتُ بقبي عليّ المال . فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المعادن فقال ما فعل سلمان الفارسي المكاتب . فدعيتُ له فقال خذ هذه فأدّها مما عليك . فأخذتها فوزنتُ لهم منها والذي نفس سلمان بيده أربعين أوقية فأديتهم وعنتتُ . فشهدتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق ثم لم يقتني معه مشهد .

(ودخل) سعد بن أبي وقاص عليه ليعوده رضي الله عنهما فبكى سلمان ، فقال له سعد : ما يبكيك توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنك راضٍ وتردُّ عليه الحوض ؟ فقال سلمان : ما أبكي فرعاً من الموت ولا حرصاً على الدنيا ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهدَ لي عهداً فقال "ليكن بلغة أحدكم مثل زاد الراكب" وحوالي هذه الأساودة وإنما حوله أجانة وجفنة ومطهرة . فقال له سعد : أوصنا . قال : اذكر ربك عند همك إذا هممت وعند حكمك إذا حكمت وعند يدك إذا قسمت . (ولما) مات بيع متاعه كلّه فبلغ أربعة عشر درهماً .

(وقيل له) أوصنا . فقال : " مَنْ إستطام منكم أن يموت حاجاً أو غزياً أو عامراً لمسجد ربّه فليفعل ولا يموتت تاجراً ولا جابياً . (وكان) قد أصاب صرّة مسك أودعها امرأته فلما حضرت الوفاة قال هات مسكاً فأمرتيم في ماءٍ ثم أنضحيه حولي فإنه يأتي الآن زوار ، ففعلت فلم يمكث إلا بقيّة يومه .
(ثم توفي رضي الله عنه) وذلك سنة ست وثلاثين أو أربع وثلاثين في داء البطن بالمدائن في خلافة عثمان رضي الله عنه وعمره مائتان أو ثلاثمائة وخمسون سنة ، أما الأول فعليه عند المؤرخين المعول . ثم تلقى سر هذه النسبة الشريفة منه سيدنا القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه .